الجَلَد الجماعي لدى الفلسطينيين في القدس: قرية سلوان في مواجهة سياسة الاستيطان وهدم البيوت

Community Resilience among the Palestinians in Jerusalem: Silwan Village Facing the Policy of Colonialism and Home Demolition

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة:

إبـــــاء محمد محمود فتيحة

بإشراف:

د. إبراهيم مكاوي

جامعة بيرزيت– فلسطين

2013

كلية الدراسات العليا

برنامج علم النفس المجتمعي

الجَلَد الجماعي لدى الفلسطينيين في القدس: قرية سلوان في مواجهة سياسة الاستيطان وهدم البيوت

Community Resilience among the Palestinians in Jerusalem: Silwan Village Facing the Policy of Colonialism and Home Demolition

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة:

إبـــــاء محمد محمود فتيحة

بإشراف:

د. إبراهيم مكاوي

جامعة بيرزيت– فلسطين

2013

الجَلَد الجماعي لدى الفلسطينيين في القدس: قرية سلوان في مواجهة سياسة الاستيطان وهدم البيوت

Community Resilience among the Palestinians in Jerusalem: Silwan Village Facing the Policy of Colonialism and Home Demolition

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة:

إبـــــاء محمد محمود فتيحة

نوقشت بتاريخ 2013/8/6

بإشراف اللجنة المؤلفة من:

د. إبراهيم مكاوي– رئيساً

د. ليزا تراكي، د .كايرو عرفات – عضوين مناقشين

قدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

جامعة بيرزيت

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الدراسات العليا

برنامج علم النفس المجتمعي

الجَلَد الجماعي لدى الفلسطينيين في القدس: قرية سلوان في مواجهة سياسة الاستيطان وهدم البيوت

Community Resilience among the Palestinians in Jerusalem: Silwan Village Facing the Policy of Colonialism and Home Demolition

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة:

إبـــــاء محمد محمود فتيحة

نوقشت بتاريخ 2013/8/6

اللجنة المشرفة	التوقيع
الدكتور إبراهيم مكاوي، رئيساً	.....
الدكتورة ليزا تراكي، عضواً	.....
الدكتورة كايرو عرفات، عضواً	.....

الشكر

إن انجازي لهذا البحث المتواضع ما كان ليكون لولا فضل الله تعالى، فله الحمد والشكر أولاً.

وأتقدم بالشكر الخالص والعميق إلى كل من ساهم معي بإثراء جوانب هذا البحث، سواء بالرأي أو التوجيه أو النصيحة، وعلى رأسهم اللجنة الكريمة.

كذلك أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لمركز مدى وطاقمه جميعاً لتعاونهم الكبير، فقد كانوا جسراً وصلني، وسنداً دعمني في كل الأوقات.

كما يجدر بي أن أتقدم ببالغ الامتنان وجزيل العرفان إلى أفراد المجتمع السلواني الذين فتحوا قلوبهم وبيوتهم، ولم يبخلوا بمشاركتي أفكارهم ومشاعرهم... أشكرهم جميعاً وأتمنى من الله أن يثبتكم، فأنتم أمل قدسنا في البقاء.

الإهداء

إلى الرجل الذي أضحك دمعتي في كثير من الساعات... زوجي

إلى الشعلة التي تنير دربي... أمي وأبي

إلى إخوتي، رفقاء دربي وأحبائي

إليكم أصدقائي..

الملخص

يتعرض سكان منطقة قرية سلوان في الوقت الراهن لضغوطات مستمرة من الحكومة الإسرائيلية، ترمي إلى تهجيرهم قسرياً من منازلهم، ولمشاحنات يومية مع المستوطنين الذين شكلوا بؤراً استيطانية أصبحت تتغلغل داخل النسيج الاجتماعي للقرية. بالتالي هم بحاجة لإيجاد الطرق والوسائل التي تساعدهم على الصمود وتقوي جَلدهم وتشحذ عزائمهم وتشعرهم بالحماية والأمن على المستوى المجتمعي، الأمر الذي يمكن أن يعمل كوقاية من مشكلات على المستوى النفسي والاجتماعي في المستقبل. حيث عمل البحث على الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: " ما مدى قدرة أهالي بلدة سلوان على الجَلَد الجماعي في ظل الوضع السياسي القائم من هدم بيوت وتهجير، ووجود المستوطنين في المنطقة؟" وذلك باستخدام طريقة البحث الكيفية بالمقابلات لعائلات وممثلين مجتمعيين لمجتمع سلوان، بالإضافة للملاحظة الشخصية بالمشاركة خلال فترة البحث.

وخرج البحث بعدة نتائج منها علاقة الحس الجماعي ودور العلاقات الاجتماعية بوجود شبكة قوية من العلاقات المجتمعية، وقد كان لإدماج العلاقات المجتمعية العربية التقليدية (أي الأسر الممتدة) الكثير من الدعم والتأثير الإيجابي. حيث لعبت هذه الشبكة المجتمعية دوراً إيجابياً في رفع قدرة المجتمعات المحلية.

أما عن دور العامل الاقتصادي، فقد كان لارتفاع معدلات الاعتقالات والعقوبات المفروضة من المحاكم، وأتعاب المحامين، والضرائب، والخسارة الفعلية للمنزل

بما في ذلك الممتلكات، وغير ذلك دور في تشكل عوامل الخطر التي تجعل الجلد المجتمعي مهمة صعبة جداً ومعقدة.

إضافة لذلك، يعتبر الدين بشكل عام والعلاقة الروحية الفريدة مع القدس، باعتبارها المدينة المقدسة، جزءاً أساسياً في الشعور المجتمعي القوي ومعنى الحياة، وكان سبباً في مقاومتهم وصمودهم في مواجهة المخططات الإسرائيلية لتهويد المدينة.

وقد شكل دور المؤسسات والإعلام محوراً من المحاور، فكان لبعض المؤسسات دوراً إيجابياً في نشر التوعية بين الناس، والدعم المادي في بعض الحالات. كما ساهمت المؤسسات الإعلامية بنشر قضية سلوان، ولم يخلُ الأمر من بعض الانتقادات حول عدم تلبيتها لهدفها، وبكونها ملتزمة بأجندات معينة.

وأما الوعي السياسي الوطني والقانوني، فكان هناك نوع من الشعور بالمسؤولية تجاه الواجبات الوطنية، خاصة بعد تطور الوعي في الجانب القانوني من خلال تجارب سابقة مرّوا بها بالرغم من محاولات إسرائيلية عديدة لخداع الناس، واستغلال فئات معينة من الناس لحاجة أهالي سلوان لمكاسب شخصية.

وقد تعلق المحور الأخير بالشعور بالاستقرار النفسي؛ فعلى الرغم من وجود الشعور بالانتماء النفسي للمنطقة، كان من الواضح بأن هناك حالة من عدم الشعور بالأمان، والخوف من المستقبل. ذلك بوجود استفزازات إسرائيلية مستمرة، واعتقالات شملت الكبار والأطفال.

Abstract

The residents of Silwan village currently face continuous pressures from the Israeli government, aiming at forcibly depopulating them from their homes, and aiming also at making daily arguments with settlers who formed settler focal points, which became transfused within the social network of the village.

Therefore, they need to find the means and methods which will assist in strengthening their steadfastness, increasing their resilience, raising their determination and making them feel protected and secured at the community level; contributing therefore to preserving them from many problems at the psychological and social level in the future.

The research has answered the following key question: "What contributes the community resilience of Silwan's community when facing threat and real house demolition under the political status quo which includes the continuous threat and harassment of the settlers and Israeli military forces?" using the qualitative research approach by holding interviews with families and community representatives of Silwan community, as well as personal participant observation during the research period.

The research has several conclusions including the relationship between the sense of community and the role of social relationships with the existence of a strong network of community relationships. Furthermore, integrating the Arabian traditional community relationships (i.e. extended families) has been highly supported and has had a positive influence; as such community network has played a positive role in raising the capacity of local communities.

Regarding the role of the economic factor, the increase of arrests and court penalties, lawyer fees, taxes, as well as actual loss of houses including properties, in addition to unemployment due to the crisis all constitute risk factors that render community resilience a very difficult and complicated task.

Also, religion in general and the unique spiritual relationship with Jerusalem, as being considered the holy city, are considered a fundamental part of the strong community feeling and the meaning of life, and they were also reasons for citizens' resistance, steadfastness and survival against the Israeli plans of Judaizing the city.

The role of organizations and media represents one of the topics; as some organizations has had a positive role in raising awareness among people and providing financial support in some cases. Moreover, media institutions contributed to publish Silwan's issue, and there was some criticism about such

institutions' inability to meet their goal as well as their commitment to certain agendas.

Concerning political, national and legal awareness, there has been a sort of responsibility towards national duties, particularly after awareness has improved in the legal aspect through previous experiences, despite of several Israeli attempts to deceit people and exploits certain categories of people because of Silwan citizens' need for personal benefits.

The last topic lies in physiological stability; despite of the existence of psychological affiliation to the region, it was obvious that there was a state of insecurity and fear from the future along with the existence of continuous Israeli provocations and arrests, which included both adults and children.

قائمة المحتويات	
الشكر	أ
الإهداء	ب
الملخص	ج
Abstract	هـ
فهرس المحتويات	ز
الفصل الأول	
مقدمة	1
إشكالية الدراسة	4
أهمية الدراسة	4
أهداف الدراسة	6
أسئلة الدراسة	6
التعريفات الإجرائية	8
الفصل الثاني	
مراجعة الأدبيات	10
الجلد الجماعي وتأثير العلاقات الاجتماعية	17
الجلد الجماعي والوضع الاقتصادي	20
الجلد الجماعي والانتماء والشعور الديني	23
الجلد الجماعي في شرط استعماري متواصل	24
الوضع في سلوان	35
الافتراضات	39
الفصل الثالث	
المنهجية	41
مدخل	41
المحددات المكانية والزمانية	42
مجتمع الدراسة	43
عينة الدراسة	43

أداة الدراسة	48
وصف الأداة	48
التحليل	49
صدق المعطيات	52
الإجراءات	52
الصعوبات	54
الفصل الرابع	
عرض النتائج	55
تعريف بالمشاركين بالبحث	58
المحاور الرئيسية	
المحور الأول: تشكل الحس الجماعي ودور العلاقات الاجتماعية في ذلك	67
المحور الثاني: دور العامل الاقتصادي	90
المحور الثالث: نظام المعتقدات	96
المحور الرابع: دور المؤسسات والإعلام	102
المحور الخامس: دور الوعي السياسي الوطني والقانوني	115
المحور السادس: الشعور بالاستقرار	125
الفصل الخامس	
نقاش النتائج	133
التوصيات	143
قائمة المراجع	145

الفصل الأول

المقدمة

تمكن الشعب الفلسطيني من خلال التجربة الاستعمارية التي مر بها من تشكيل بنية مجتمعية مترابطة ترتكز على شبكة من المنظمات الاجتماعية والشعبية وغيرها، حيث لعبت هذه المنظمات والمؤسسات دوراً مهماً في تقديم الخدمات المجتمعية، والحماية والدعم النفسي والاجتماعي للأفراد والجماعات من ضحايا العنف العسكري للاحتلال الإسرائيلي وتبعاته النفسية والمجتمعية. بالتالي لعب الشعور النفسي المجتمعي والتكافل الاجتماعي والهوية الاجتماعية دوراً أساسياً في الجَلَد الجماعي.

ويتم توسيع فهم نظام الجلد الجماعي من خلال دراسة معنى الأمل ومن خلال الاستناد إلى القصص والتجارب التضامنية في سياق مجتمع بمواجهة الحرب والقمع السياسي. ويكون عرض مفهوم الجلد الجماعي استنادا إلى قصص وتجارب تبين القدرة على التضامن والأمل من نشطاء مجتمعيين، بالتالي لديهم القدرة على تطوير امكانية التعامل مع الصعاب والأزمات .(Hernández, 2002)

فلا يمكن تحقيق تكييف الفرد والأسرة والتقدم بهما إلا من خلال جهود تعاونية، بالإضافة إلى بعض التوجيهات المفيدة لتعزيز نقاط القوة وإيجاد حل للمشكلات. (Wlash, 2002). فيجب أن نبني موارد للأسرة تمكنها من مواجهة التحديات

الجديدة على نحو فعال، ويمكن أن يُعْتَبَر كل تدخل بمثابة إجراءٍ وقائيٍ (Wlash, 2002).

تعددت أساليب إسرائيل في السيطرة على الأراضي الفلسطينية، وبالرجوع إلى التاريخ، بدءاً من التهجير القسري قبل النكبة عام 1948 والتهجير القسري فيها وما تبع ذلك في النكسة عام 1967، نجد أن الهدف كان ومازال محاولة الوصول لبسط سيطرتها على أوسع مدى.

وفيما يتعلق بالوضع الفلسطيني الحالي، فيمكن أن ندرك أن إسرائيل قد أسست لوجودها بشكل مخطط ومعمق. وفي ظل الظروف التي أوجدتها "الدولة الإسرائيلية" بعد الاستعمار، فلا يمكن التخلص من العنف، وهذا يعني أن مطالبة الفلسطينيين بالعدالة لن تتوقف، وبخاصة في ظل الانتهاكات لحقوق المواطن الفلسطيني (Home, 2003).

وفي محيط البلدة القديمة في القدس، يكشف الجعبة في بحثه عن ما تقوم إسرائيل بتنفيذه، وهو ما يسمى بمشروع "الحوض المقدس"، بحيث يشمل هذا المشروع مخططاً يضم معظم المناطق الحساسة التي تحيط بالبلدة القديمة، بالتحديد في جبل الزيتون، رأس العمود، سلوان– وادي حلوة بشكل خاص– والشيخ جراح، ويهدف لضم القدس بشكل كامل لإسرائيل تحت غطاء ديني. أما آليات السيطرة على المواقع فهي مختلفة، بدءاً بالاستيطان المباشر على شكل حي كامل مثل مستعمرة "معاليه زيتيم" في رأس العمود، وإما على شكل بيوت متفرقة يتم ربطها

بعضها ببعض بالتدريج، مثل ما يجري في وادي حلوة في سلوان. أيضاً تستخدم إسرائيل اليوم المواقع التاريخية والآثار والأنفاق كآلية سيطرة إضافية كما يحصل بما تسمى مدينة داود، انتهاءً ببناء الحدائق الطبيعية والتوراتية كما هي الحال في حي البستان في سلوان. (الجعبة،2012). فاليوم تعمل إسرائيل على استغلال الجانب التاريخي من خلال الربط بين ما تروي من قصص تاريخية ودينية، وتحديد معايير ديموغرافية جديدة لتحدد بذلك الإدراك الجماعي. وإن لتغيير تاريخ وجغرافية البلد أن يزيد من حدة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني (شلهوب، 2011).

بالتالي فإن إيجاد حل نهائي لتحرير فلسطين والقدس أمر يحتاج لزمن وجهود لن تكون سهلة أبداً. وهنا علينا أن نفكر في طريقة أخرى، علينا أن نحاول العمل على "التعايش الإيجابي" والشعور الجماعي في ظل الظروف الصعبة في الوقت الراهن. أي العمل على التخلص من تأثير سياسة المستعمر علينا حتى في ظل وجود وسيطرة إسرائيلية.

إشكالية الدراسة:

يواجه المجتمع الفلسطيني المحلي في سلوان سياسة تهجير واقتلاع وإزاحة (Transfer) بشكل متواصل من خلال اخطارات هدم البيوت، وتغلغل للمستوطنين داخل المنطقة الخاصة لسكن أهالي سلوان وفي قلب بيوتهم. ومع هذا، يُبدي المجتمع درجة ملحوظة من التماسك والصمود والجلد الجماعي في وجه هذه السياسات. فالجلد الجماعي يتمحور حول طريقة تعامل الأفراد في المجتمع مع الأزمات، بالتالي، فمن المهم أن نتعرف على عوامل هذا الجلد الجماعي ونعمل على تعزيزها.

أهمية الدراسة:

وهو موضوع لم يتم التعرض له بشكلٍ كافٍ في الدراسات العربية عامة والفلسطينية خاصة.

تبرز خصوصية هذا البحث من أهميته، فيعد موضوع الجَلد الجماعي من المواضيع الغاية في الأهمية، خاصة في ظل الظروف والأزمات التي عانى ومازال يعاني منها، والتي تؤثر على الصحة النفسية. وإن من الملاحظ في المجتمعات الشرقية ومنها الفلسطينية أهمية الترابط العائلي والاجتماعي، والذي يمكن الاستفادة منه واستغلاله لمصلحة المجتمع حتى يتكيف إيجابياً في وقت الأزمات والمحن.

إن أهالي منطقة سلوان في الوقت الراهن وفي ظل ما يتعرضون له من مشاحنات يومية مع المستوطنين، ومحاولة الحكومة الإسرائيلية تهجيرهم قسرياً من منازلهم؛ بحاجة لإيجاد طرق ووسائل تساعدهم على النهوض، والشعور بالحماية على المستوى المجتمعي، الأمر الذي يمكن أن يعمل كوقاية لمشكلات على المستويات النفسية والاجتماعية المستقبلية ويساهم في التوافق النفسي الجماعي.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف والتعمق في مفهوم الجَلد الجماعي، والبحث في العوامل التي تزيد أو تُقلل من الجَلد الجماعي في المجتمع الفلسطيني في منطقة سلوان في القدس. وسيحاول هذا البحث أن يقود إلى نتائج عملية وطرق مثلى لعمل خطة تدخل لمساعدة هذا المجتمع على تخطي الأزمات التي يعيشها. وهو أحد الموضوعات البحثية المهمة في مجال علم النفس المجتمعي، فكونه قضية إنسانية مهمة بحاجة للتدخل.

بالإضافة لما ستضيفه هذه الدراسة إلى الموضوع، خاصة أنه لم يتم دراسة الجَلد الجماعي، وهو برأيي يحتاج للبحث خاصة في مجتمعنا الفلسطيني. فيمكن أن نستفيد من المعلومات التي ستوفرها الدراسة من الناحية العملية، وفي دراسات لاحقة.

أهداف الدراسة:

تحاول هذه الدراسة التعمق في موضوع الجَلد الجماعي بشكل عام، ومدى قدرة أهالي حي البستان في سلوان على الجَلد الجماعي في ظل الوضع السياسي القائم من هدم بيوت وتهجير، ووجود المستوطنين في المنطقة.

وانطلاقاً من هذه الصورة فسوف تحاول الدراسة التعرف إلى العوامل التي تؤثر في الجلد الجماعي، وفحص العوامل التي تزيد أو تقلل من الجَلد في المجتمع الفلسطيني في سلوان، والتي تعتبر من المناطق المهددة بالاستيطان والهدم في قلب مدينة القدس.

أسئلة الدراسة:

وبناء عليه سيحاول هذا البحث الإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي:

- ما مدى قدرة أهالي بلدة سلوان على الجَلد الجماعي في ظل الوضع السياسي القائم من هدم بيوت وتهجير، ووجود المستوطنين في المنطقة؟

الأسئلة الفرعية:

- كيف يلعب الدين والمعتقدات الدينية بشكل عام دور مساعد في توفير الجلد الجماعي ومحاولة الصمود بالمقاومة أو الصبر أو غيرها من الأساليب لدى أهالي سلوان في القدس؟

- كيف يؤثر عامل الدعم الاجتماعي من خلال العلاقات الاجتماعية التي تشكلت في سياق المجتمع في سلوان على الجلد الجماعي في مواجهتهم لممارسات الاحتلال؟
- ما هو دور العامل الاقتصادي في التأثير على وجود الجلد الجماعي في ظل ظروف اقتصادية خاصة يعيشها أهالي سلوان؟
- ما العلاقة بين الأوضاع السياسية القائمة من وجود المستوطنين وسياسة هدم البيوت، وتشكل الحس الجماعي لدى أهالي حي البستان؟
- كيف يؤثر وجود المستوطنين وإخطارات هدم البيوت على شعور أهالي سلوان باستقرار في المنطقة؟
- كيف يشعر أهالي سلوان في القدس تجاه تركيز وجود مؤسسات محلية ودولية تعمل على تقديم خدمات متنوعة منها الإعلامية، وتأثير ذلك على الجلد الجماعي؟

التعريفات الإجرائية:

الجَلَد الجماعي:

عرفته كاثرين كونر (Connor, 2006) بأنه عنصر بالغ الأهمية يحدد الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد وطريقة تعاملهم مع الضغوط. وترتبط مجموعة واسعة من الميزات مع الجلد الجماعي: هذه الميزات تتعلق بنقاط القوة، والجوانب الإيجابية للحالة النفسية للفرد.

الجلد الجماعي لا يتم فهمه بسهولة، فلا نستطيع تجزئته لجزئيات بسيطة منفصلة تدمج أبعاداً مثل آليات التأقلم والشخصية (Connor, 2006).

الجلد عند الأطفال:

القدرة على التعامل بفعالية مع التوتر والضغط ، لمواجهة التحديات اليومية، على أن التعافي من الإحباط والصدمات النفسية ، والخطأ والمحن إلى وضع أهداف واضحة وواقعية لحل المشاكل للتفاعل مع الآخرين، وبسهولة لعلاج النفس والآخرين باحترام و كرامة (Liebenberg & Ungar,2009).

إذاً فالجَلد الجماعي يعني:

الطريقة التي يتصرف بها الأفراد في المجتمع الواحد ويتعاملون بها في الأوقات الضاغطة، وهو مصطلح مرتبط بنقاط القوة والجانب الايجابي من الفعل.

الحس المجتمعي: هو المستوى الذي يقدمه شخص لآخر من الاتصال والانتماء لفترة معينة (Dugas,1997) .

الهوية:

يعتبر مفهوم الهوية رئيسياً في علم النفس الاجتماعي وذلك بسبب كونه أحد المخاوف الرئيسية في ذلك الحقل، حيث أن هناك صراع بين البحث عن الهوية الفردية والبحث عن الهوية الجماعية حسب اعتقاد البعض. بينما يرى آخرون أن الهوية تعني مجموعة من الصفات التي يمكن ملاحظتها والتي تعرّف الشخص لنفسه وللآخرين (Deschamps, 1998).

الهوية الجماعية:

وهي شعور الفرد بالتشابه مع أفراد جماعة معينة يشتركون معاً في خلفيتهم الاجتماعية، ويختلفون عن الجماعات الأخرى (Deschamps,1998). ومن الممكن أن ينتمي الشخص إلى العديد من الجماعات منها الهوية الوطنية والهوية الدينية والهوية العشائرية وغيرها (ميعاري، 2008).

الهوية الوطنية:

أو ما يمكن أن تسمى الهوية القومية وهي أحد أنواع الهوية الاجتماعية وهي إحدى الهويات الفرعية للهوية الجماعية، وتتكون هذه الهوية من أربعة عناصر وهي: الأرض المشتركة، التاريخ المشترك، الدولة المشتركة، الثقافة المشتركة (Deschamps, 1998).

الفصل الثاني

مراجعة الأدبيـــــات

قامت الكثير من دراسات علم النفس على بالبحث عن أساليب وبدائل للتغلب على المحن والصعوبات للوصول لحياة ناجحة وصحية، والوصول للتوافق النفسي الاجتماعي. وقد قام علم النفس الإيجابي بمحاولات عديدة تتحدث عن حل للمشكلات في الحياة الواقعية التي تكثر فيها المصاعب والمحن؛ فعلم النفس لا يقوم فقط على دراسة الاضطرابات النفسية، بل يسعى للإصلاح وحتى الوقاية النفسية من أجل التطوير والتنمية.

وقد بُنيَ علم النفس الإيجابي على سبيل المثال على أساس أن لكل إنسان نقاط قوة ونقاط ضعف، وبهما تتحدد حياته حسب الخبرات التي يعيشها. وإن تعزيز العمل على نقاط القوة يعتبر مدخلاً لتحقيق السعادة والرضى (Sheldon & King, 2001) وإن تفعيل موضوع الجَلَد resilience هو البداية الأساسية لتضميد الجروح وإعادة التأهيل للخروج من الأحداث المؤلمة والأزمات بسلام (Powley, 2009).

فعلى الرغم من التناقضات والمخاطر في الحياة، إلا أنها تستمر ويجب أن نتعامل معها كأفراد. لكن وبالطبع، فهناك مشكلات غير محدودة، منها ما يمكن تفسيره

وحله بشكل علمي أو طبي ومنها ما يحتاج علاج من نوع آخر. ومشاكل الصحة النفسية عادةً ما تميز التساؤلات حول إمكانية حلها والوقاية منها، لكن فريدلي تجد (Friedli, 2009) أن الدراسات المعمولة على أساس المجتمع في هذه الحالة تعطي نتائج أفضل من دراستها على أساس فردي.

لا بد من الرجوع دائماً للنواة الأساسية التي يتشكل من خلالها الجزء الأكبر. فعند التعامل مع مجتمع معين، لا بد من الإشارة للأفراد المكونين لهذا المجتمع. وعند تعريفنا للجَلد، فلا بد أيضاً من تحديد مستويات الجَلد المختلفة. فالجَلد يتدرج من الجَلد الفردي وصولاً للجَلد الجماعي أو المجتمعي. فالجَلد الفردي هو المفهوم الذي ينطوي على عملية ديناميكية للتكيف الإيجابي للفرد في المحن الكبيرة والشدائد (Powley, 2009) .

علم النفس يهتم بالجذور، والطبيعة، وبالطبع يهتم بدراسة قدرة الفرد على الجلد. والقصد من ذلك هو دراسة خصائص الفرد، والبيئة، والتفاعل بين الاثنين، مما قد يصنف بعض الأفراد كمهمش، في حين أن آخرين محميين (Kolbo,1996). فقد يولد بعض الأفراد في ظروف صعبة أو استثنائية، كالتواجد في بيئة فقيرة، أو وجود الفرد في بيئة عائلية تسودها المشكلات. وإن مثل هذه الظروف تعد عوامل خطر لتطور الفرد، خاصة الطفل، في جانب التعلم أو حتى في الجواني السلوكية. والأطفال الذين يواجهون مثل تلك المشكلات، ويستطيعون تخطيها بشكل من الأشكال، فهم أكثر جلداً وتحصيناً من غيرهم (Connor, 2006) .

كما ويعتبر الجلد عنصر حاسم في تحديد طريقة ردة فعل الفرد في تعامله مع الضغوطات. وهناك مجموعة واسعة من السمات المرتبطة بجلد الفرد، وهذه السمات مرتبطة بشكل مباشر بجوانب القوة، وبإيجابية الحالة النفسية والعقلية للفرد. حيث أن الأفراد الذين يتمتعون بالجلد، يمكن وصفهم بأنهم يؤمنون بوجود ما يقويهم ويدعمهم حتى خلال مواجهتهم للمشكلات. وإن هؤلاء الأشخاص هم أكثر قدرة على مواجهة التغير والتكيف معه، كما وأنهم يتعاملون مع نجاحاتهم الماضية لتعزيز مواجهتهم للتحديات الحالية والمستقبلية (Connor, 2006).

من التعريفات الأخرى للجلد الفردي حسب أنغر، فيكون الجلد عادة في سياق التعرض للشدائد، سواء النفسية أو الفردية أو كلاهما معاً. ويمثل الجلد قدرة الفرد في مثل هذه الحالة على ايجاد الطرق الصحية ومعززاتها، بما في ذلك فرص التعبير عن المشاعر للوصول للتوازن النفسي والاجتماعي (Unger, 2008).

ويتأثر الجلد أيضاً بحالة عائلة الفرد أو مجتمعه أو حتى ثقافته المحيطة، والتي تساعده على توفير الطرق والموارد الصحية والخبرات المفيدة.

ومن العوامل مؤثرة في قدرة الفرد على الجلد، طريقة حل التوترات والصراعات بين الأفراد وثقافتهم بطرق تعكس علاقات محددة بين جوانب القدرة على الجلد لديهم. كما أن الجوانب المختلفة للجلد مأخوذة من تأثيرات متباينة لحياة الفرد في الطفولة. وتكون تبعاً للسياق والثقافة التي يتحقق فيها الجلد (Unger, 2008).

وهناك مفهوم جلَد العائلة، وهو باختصار، تحدي الأزمات؛ أي قدرة العائلة على الصمود وتحدي المحنة. وقد تغير مفهوم الجلد العائلي بشكل جذري من حيث اعتبار الأسرة في محنة على أنها أسرة مدمَّرة وغير قابلة للإصلاح إلى رؤيتها على أساس يتحدى هذه المحن ويصمد فيها، فبدلاً من إنقاذ "الناجين" من الأسر المفككة على سبيل المثال، فاليوم يُنظر للأسرة ككل من منظور الاحترام والتعاطف والمشاركة في مشكلاتهم لإخراج أفضل ما لديهم وبالتالي تفادي المشكلات أو الحد منها ومن العجز وتعزيز العمل لإيجاد التوافق النفسي والاجتماعي (Wlash, 2002).

أما الجَلد الجماعي Collective Resilience أو المجتمعي Community Resilience، فهما مصطلحان متشابهان من حيث الاهتمام بالمجموعة على المستوى الجماعي، حيث يعبر كل منهما عن نتاج من التفاعلات الاجتماعية التي تعمل على تمكين التكيّف الإيجابي لضمان استمرار العلاقات(Powley, 2009) . وبالحديث عن الجلد الجماعي يمكن أن نعرفه بأنه التكيّف الإيجابي للمجتمع Community على الرغم من وجود الصعاب أو المحن(Bottrell, 2009) . وعادة يتطور حسب الظروف، مثل الكفاءة والنمو والفعالية، التي تزيد من احتمالية التكيّف والتعديل الايجابي (Powley, 2009).

إن التحول من حالة عدم الاستقرار إلى مجتمعات فيها جلد جماعي مجتمعي يمكن وصفه بأنه صعب البناء، لكنه صعب الكسر (Managhan, 2012) ويتم

هذا التغيير لبناء جلد مجتمعي عن طريق وضع هدف مشترك، والذي يمكن أن يوحّد الناس على اختلافاتها واهتماماتها الاجتماعية والسياسية المختلفة، ذلك من خلال مجموعة واسعة من القيم، والتي تتضمن على المسؤولية المدنية والمساواة والتوافق النفسي الاجتماعي. وإن الحاجة الى هذا النوع من التدخل على المستوى المجتمعي هو المسؤول عن التمكين بدلاً من المنع والكبح، للحراك الاجتماعي والازدهار للجميع. ويتم تحقيق ذلك عن طريق التمكين واقامة نظام الاقتصادي جديد ومستقل، والشبكات الاجتماعية (العائلات والجيران) (Managhan,2012).

إن بناء برنامج لتحسين الجلد المحلي، لا يعني دائماً البدء من الصفر، فعادة ما يكون البناء على نجاحات موجودة أصلاً بتوجيه نحو مسار واضح بتميّز تنظيمي. وهو يشمل التوفيق بين أنشطة الأهداف الاستراتيجية والأنظمة التشغيلية، وفهم المقايضات والمخاطرات المتعلقة بها (Managhan, 2012).

ويرتبط موضوع الجلد المجتمعي بمفهوم الهوية الاجتماعية؛ فهو يشير إلى عمليات التكيف التي تحدث، والتي تعتمد على سياق اجتماعي معين. هذه العمليات تهدف إلى إعادة بناء والحفاظ على العلاقات الاجتماعية لتضميد جراح صدمات، وخسائر حرب، وإعادة بناء الشعور بالانتماء والهوية الشخصية (Hernández, 2002). وهناك العديد من النظريات التي تناولت مفهوم الهوية محاولةً الإجابة عن أسئلة الهوية المعقدة وتفسيرها، وتفسير آليات تكونها على المستوى الفردي والجماعي. وكما وصف عبد الرحمن فلقد بقي تفسير الهوية

يخضع لمجموعة كبيرة من الاتجاهات فمنها ما كان يعتمد على تفسير الانتماء على المستوى الفردي الذاتي أو التفسير الاجتماعي (عبد الرحمن،2010).

ومن النظريات المهمة التي فسرت الهوية الوطنية للجماعات، نظرية الهوية الاجتماعية التي طورها كل من تاجفيل وتيرنر (Tajfel & Turner, 1986) وقد أوضحت النظرية أن الأفراد مدفوعون لتحقيق هوية اجتماعية إيجابية. وتحاول نظرية الهوية الاجتماعية الإجابة عن كيفية تكوين الهوية للجماعات من خلال الفرد، أي اعتبار أن مفهوم الذات مكون من جزئيين، شخصية الفرد كفرد، وكون الفرد عضواً في جماعة. بمعنى أن الفهم الحقيقي للهوية يحتاج إلى تحليل العلاقات بين الجماعات وتعريف هوية الذات بوصفها عضو في الجماعة. ويرى زايد أن تداخل المكونات الدافعية والمعرفية، يؤدي لتكوين بناء ثلاثي الأبعاد، فالبعد الأول يمثل البيئة الاجتماعية من فئات اجتماعية مميزة، وعندما يصنف الفرد نفسه في فئة معينة نقول في هذه الحالة: إن الفرد يجعل ذاته والفئة التي ينتمي إليها متماثلتين لأن هذه الفئة تضع الفرد في منزلة معينة. أما البعد الثاني فتحدد فيه الانتماءات الاجتماعية Social Affiliation وهوية الفرد الاجتماعية كجزء من مفهوم الذات، حيث يستمد الأفراد تقديرهم للذات من خلال هويتهم الاجتماعية. أما البعد الثالث فتظهر فيه الهوية الاجتماعية من خلال العلاقة مع الجماعات الأخرى التي تعطي المجال للتميز والتعصب بوجود الاختلافات بين

الجماعات، ومفهوم الذات يعتمد الى حد ما على كيفية التقييم النسبي للجماعة الداخلية بالنسبة الى الجماعات الأخرى (زايد، 2006).

لقد تم استخدام مصطلح الهوية على نطاق واسع. وقد اتخذ مصطلح الهوية منحى كبيراً في تنوع معانيه وارتباطه بموضوعات كثيرة؛ فالهوية مستمدة من المجتمع نفسه ومن المؤسسات التي فيه؛ فالعائلة والمدرسة وطبيعة العمل والمؤسسات الخدماتية والصحية جميعها تؤدي دوراً حاسماً ومؤثراً في تشكيل الهوية، ومن هنا فإن المجتمع يستمد مؤسساته وممارساته منها. (عبد الرحمن، 2010). فمن المستحيل تطوير نظريات بعلم النفس الاجتماعي ملائمة كفاية ما لم تقبل أن علم النفس مرتبط بهيكلية اجتماعية، وذات منشأ اجتماعي، ومهمته دائماً في سياق اجتماعي (Brewer & Hewstone, 2004) .

ويشير مصطلح أزمة الهوية إلى افتقاد فكرة الشعب الموحد، والهوية الواحدة، والهدف الواحد في الوطن الواحد. أي غياب فكرة المواطنة بين أفراد الجماعات المشكلة للمجتمع، بمعنى غياب الولاء السياسي والهدف الموحد، وبالتالي تعدد الولاءات السياسية داخل المجتمع الواحد. (عبد الرحمن،2010). فكلما ارتبط الشخص بوطنه وانتمى إليه، قل احتجاجه عليها. والعلاقة بين اللغة والهوية وثيقة جداً ومتشابكة، فتلعب كل من اللغة والهوية الاجتماعية أدواراً مركزية وجوهرية في حياة المجتمعات؛ فاللغة هي بمثابة أحد المؤشرات الهامة للهوية التي تساهم في تشكيلها وتعزيزها، وهي مؤشر ثقافي وسلوكي للمجموعات وللمجتمعات

وتضمن حيويتها واستمرارها. (أمارة، 2010). فالجلد بذلك يزيد عند زيادة الانتماء والتمسك بالهوية، أي أن تعزيز شعور الفرد بهويته تزيد من ثقته بنفسه وبمجموعته التي ينتمي لها، بالتالي يقدم ويضحي من أجلها.

الجَلد الجماعي وتأثر العلاقات الاجتماعية

عند الحديث عن الجَلد، هناك عدة أمور يجب أخذها بعين الاعتبار وتبرز بوضوح منها الأبعاد النفسية والاجتماعية لحياة وتاريخ الأفراد، والعائلات والمجتمعات التي نريد وصفها. بالتالي الصحة النفسية هي عنصر أساسي يمنح الحماية، وتعمل على مستويات مختلفة، منها البيئة التي تعزز قدرات المجتمع للرفاه والتوافق النفسي الاجتماعي، وأيضاً المستوى الاجتماعي. (Friedli, 2009). إذاً يرتبط الجَلد عادة مع رأس المال الاجتماعي، وعادة يُشير إلى مفهوم الشبكات الاجتماعية التي تتمحور حول الثقة، والمعايير المشتركة، بالإضافة للموارد (Bottrell, 2009) .

ويعد مفهوم الحس المجتمعي " Sense of Community" معياراً رئيسياً ومفهوماً مركزياً في فهم العلاقة بين الفرد ومجتمعه وقد عرفت (Dugas,1997) الحس المجتمعي بأنه المستوى الذي يقدمه شخص لآخر من الاتصال والانتماء لفترة معينة. وكان بحثها يرتكز على الدراسة الميدانية الأنثروبولوجية. وقد وجدت أن هناك قادة في أي مجتمع قادرين على فرض

جزء من سيطرتهم، بالتالي فلهم التأثير الأكبر للمساعدة في تنظيم بناء مجتمع وتوفير شبكات الدعم، وأن النشاط الجماعي يزيد الشعور بالانتماء. (Dugas,1997). كما وتؤثر التركيبة السكانية والتاريخ المشترك بين السكان على العلاقات في المجتمع المحلي. فالافتقار للتاريخ المشترك عادة ما يؤدي لضعف العلاقات بين السكان. وحسب كتاب أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة، ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال، تم فيه دراسة بمقارنة ثلاثة احياء في رام الله (ام الشرايط، مخيم الامعري، الماصيون) من خلال عدة مقالات عن الموضوع لليزا تراكي وبني جونسون ولميس أبو نحلة ورلى أبو دحو وجميل هلال وأميرة سلمي، ووجدت الدراسة أنه عادة ما يكون هناك علاقات متوترة بين السكان الأصليين بمن فيهم لاجئي ال 1948 مع العائدين، وقد كان هذا التوتر لدى الجيل الأكبر سابقاً بين السكان الاصليين واللاجئين أنفسهم، ومع المدة تلاشت هذه التوترات لتصبح اليوم مع فئة جديدة دخلت مجتمعهم "العائدين" واعتبروها مختلفة في نمط الحياة وطريقة التعامل (أبو دحو وآخرون، 2010).

وقد أكدت الباحثة دوغاس (Dugas,1997) أن دراسة الشعور بالانتماء إلى مهم وحاسم، لأن الأبحاث قد أظهرت أن الشعور بالانتماء إلى المجتمع قد تراجع في السنوات الأخيرة في العديد من المجتمعات، مما قد يؤدي إلى ارتفاع الجريمة وانخفاض المشاركة المدنية.

وإن إيجاد أفرد محليين لتولي السلطة المحلية الداخلية يشكّل جانب إيجابي نحو بناء مجتمعي جاد، حيث يتم بعدها تحديد أهمية تطوير المسؤولية إضافة إلى القوة، بتحديد الشكل العام، لتعزيز كفاءات المجتمعات المحلية والمسؤولين الحكوميين. وفي نفس الوقت يكون ذلك بتطوير أنظمة قابلة للتفاوض محلياً، وتطوير أنظمة الحقوق والعقوبات، ذلك لا يعني وضع حد للحكومة المحلية، إنما يدعو لشكل جديد يكون اكثر ذكاءً وأعلى مستوى بزيادة التدخلات المجتمعية بعيداً عن الإدارة. وإن الأولوية للسكان المحليين لتنظيم جميع الخدمات، وبنفس الوقت، يكون دور القطاع الخاص تحت المجهر. (Managhan, 2012)

وقد أظهرت النتائج في دراسة Dugus، (Dugas,1997) أن الأشخاص القياديين بالمجتمع يساهمون في تنظيم بناء الحس المجتمعي وتوفير شبكات الدعم. وأن مجموعة الأنشطة الجماعية ينتج عنها الفخر والاعتزاز بالعمل على المشروع الجماعي، وتجميع وجلب السكان معاً، وزيادة الشعور بالانتماء إلى المجتمع. وأيضاً أن هناك طرق مختلفة لبناء الحس المجتمعي في المجتمع المدني، حيث تقترح الباحثة استخدام مصطلح "ثقافة المجموعة" بوصفه وسيلة جديدة لوصف الحس المجتمعي من وجهة النظر الانثروبولوجية.

فيتطلب النجاح في بناء جلد التدخلات الشاملة المنسقة مع المجالس المحلية والمسؤولين التنفيذيين كالعمدة أو الأشخاص المنتخبين من المجتمع وصانعي السياسات وأبطال المجتمع، وحتى موظفين في مجال القطاع العام. فبإمكان القادة

المحليين لعب دور محوري وبالغ الأهمية للتخلص من ثقافة التبعية، وذلك بالعمل على خلق مجتمعات مستدامة بأقل الخسائر الممكنة وحسب الفرص المتاحة. كما وبإمكان القادة بناء تحول مستدام عملي وفعّال للموارد، مع مراعاة الحذر من سياسات القضايا المنفردة التي من الممكن أن تكون معاكسة لمنهجية التغيير المطلوبة (Managhan, 2012).

وفي البحث الذي قامت به (Friedli, 2009) حاولت إبراز أهمية وضع سياسات وبرامج لدعم وتحسين الصحة النفسية لدى الأفراد، حيث تتضمن أولويات العمل:

- الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تدعم الأسرة والمجتمع والحياة.
- التعليم الذي يؤهل الأطفال للازدهار اقتصادياً وعاطفياً.
- فرص العمل ودفع العمل والظروف التي تعزز وتحمي الصحة النفسية.
- إقامة شراكات بين الصحة والقطاعات الأخرى للتصدي للتهديدات الاجتماعية والاقتصادية التي قد تشكل حافزاً لمشكلة نفسية.
- الحد من السياسات والحواجز البيئية في التواصل الاجتماعي.

الجَلد الجماعي والوضع الاقتصادي

توجد علاقة واضحة بين الجلد والمرونة الاجتماعية والبيئية، ولا سيما بالنسبة للفئات الاجتماعية أو المجتمعات التي تعتمد على الموارد البيئية كالأرض لكسب

عيشهم. ومن الفشل أخذ النموذج الاقتصادي فقط بعين الاعتبار دون النظر إلى البيئة الاجتماعية (Managhan, 2012) .

في بحث قام به أدجر (Adger, 2000) تطرق للجَلد الجماعي وقدرة الجماعات أو المجتمعات المحلية على مواجهة الضغوط الخارجية والاضطرابات نتيجة للتغيير الاجتماعي والسياسي والبيئي. وقد تم تعريف الجَلد الجماعي في هذا البحث بناءً على ما يتعلق بمفهوم المقاومة البيئية، وهي العوامل التي تحد أو تقلل من فرص النمو، والتي تعتبر سمة من سمات النظم البيئية للحفاظ على الذات في مواجهة الاضطرابات.

ويجدر الإشارة إلى أن علم النفس المجتمعي قد تطرق لموضوع النظام البيئي على أن الإنسان يتطور دائماً في بيئة أيكولوجية، باعتبار أن النمو والتغير يحصل في تفاعل بين الفرد والبيئة عبر الزمن، باختلاف البيئات التي يتفاعل بها حسب المرحلة العمرية. وقد قسم برونفنبرنر المؤسسات الاجتماعية لأربع مستويات متداخلة من الأصغر للأكبر Micro, meso, exo and macro level (Bronfenbrenner, 1989).

ويجادل هذه بحث Adger الذي يعرّف الجَلد الجماعي باعتباره قدرة المجتمعات المحلية على الصمود أمام الصدمات الخارجية بالاعتماد على بنيتها التحتية الاجتماعية. لا سيما بالنسبة للاعتماد على موارد المجتمعات التي تخضع للضغوط الخارجية والصدمات، سواءً في شكل التقلبات البيئية، وكذلك في شكل

الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (المرتبطة بالتقلبات في الأسواق العالمية للسلع الأولية أو مع التغيرات السريعة في قوانين الملكية أو تدخلات الدولة).

ويقال من قبل علماء البيئة: إن الجَلد الجماعي في النظم الطبيعية يوفر القدرة على التكيف مع المفاجآت والتغييرات واسعة النطاق- وهذا هو بالضبط ما سيخلق الابتكار والإبداع والتجديد، والتعامل مع التغيير والتعلم الاجتماعي في المؤسسات الاجتماعية.

وتعبّر فريدلي (Friedli, 2009) عن أن القيم والثقافة، وتوزيع الأمور الاقتصادية والسياسة المالية وكيفية حصولها، هي المجالات الرئيسية التي تؤثر وتتأثر بكيفية تفكير الناس وشعورهم.

وأن هناك علاقة حاسمة بين الموقف الاجتماعي والعاطفة، والإدراك والوظيفة الاجتماعية. والأدلة على هذا التأثير تحتاج إلى تنوير التفكير الحالي حول كيفية استجابة الأفراد (بما في ذلك الأطفال) إلى الضغوطات والاستراتيجيات المناسبة لتعزيز الإيجابيات والوقاية من السلبيات، والعلاج من مشاكل الصحة النفسية.

ومن الواضح أن السعي الحثيث للنمو الاقتصادي، أي السياحة الاقتصادية في إسرائيل حيث أصبحت السياحة نوعاً هاماً من أنواع الأنشطة التجارية والاستثمارية عالية الربحية، وهذا ليس دائماً لمصلحة البيئة المحيطة فقط. فما

هو واضحٌ الآن أن الاستراتيجيات الحالية الاقتصادية والمالية تسعى لتحقيق النمو فقط، بالتالي يمكن أيضا أن تضعف العلاقات بين الأسرة والمجتمع: النمو الاقتصادي على حساب الركود الاجتماعي. هذا يعني أن جوهر المسائل المتعلقة "بتأثير الصحة النفسية " بحاجة لحماية.

الجَلد الجماعي والانتماء والشعور الديني

تم دراسة العلاقة بين والروحانية والغضب، والجَلَد والحالة الصحية، وأعراض ما بعد الصدمة في حدة الصدمات النفسية للناجين. وقد كانت على شكل نموذج استطلاع للمجتمع على الانترنت شمل مقاييس للروحانيات، والجَلَد (المعتقدات العامة وتناسخ الأرواح)، والغضب والصفح، والكراهية. للناجين من صدمات العنف، وتم تقييم هذه المقاييس فيما يتعلق بعلاقتها بالصحة الجسدية والعقلية، وبشدة الصدمات النفسية، وكذلك حدّة أعراض ما بعد الصدمة، فقد أظهرت المعتقدات الروحانية والغضب العام بالاشتراك مع كل نتيجة، في حين ارتبط الجَلَد مع الوضع الصحي وأعراض ما بعد الصدمة حدة فقط (Connor & Davidson & Lee, 2003).

تعد طريقة معالجة الأشخاص للضغوطات أمر بالغ الأهمية. بعض النتائج العيادية والتصوير العصبي أشارت إلى أن مرضى اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) يعانون من صعوبة في تجميع الخبرات والتجارب المؤلمة وأن ذلك يعتمد بشدة على التدين والقيم الروحية في السعي لفهم الشخصية من الأسئلة عن

الحياة ومعناها. وبالنظر إلى التأثيرات المحتملة من المعتقدات الروحانية والدينية على التعامل مع الأحداث المؤلمة، فإن هناك دور مهم للقيم الروحية في تعزيز الجَلَد الجماعي وتعميق فهمنا لتكييف الإنسان وقت الصدمات. (Moreira & Others, 2007). وكان الدين أيضاً كمصدر لوجود معنى وهدف للأفراد والمجموعات طريقة ناجعة لمعالجة الضغوط وقت الأزمات والكوارث الطبيعية؛ فقد قال الناس المحليين في مناطق المختلفة بأن الكنائس والمساجد كانت ممتلئة، تعج بالناس بعد الكارثة، حيث تطلع الناس لحكمة الخالق وقوته. كما اعتبر البعض أن الكوارث قد جددت التزامهم بمساعدة الآخرين (Ride and Bretherlon, 2011)

الجلد الجماعي في شرط استعماري متواصل

الاستعمار الاستيطاني

عادة ما تسعى مناطق التعدد الإثني والقومي في السياسات المدنية للتخطيط بحيث تعمل على ما يسمى "بالاندماج– Integration" بين الفئات المختلفة المكونة لها، لكن كيف يكون ذلك في دولة تعرّف نفسها "بالدولة اليهودية"! فهي بالأساس تقوم على أساس عرقي وتعمل باتجاه "الفصل– Segregation" (بريك، 2006).

تعاني فلسطين تاريخياً وحتى اليوم من سياسة فصل وتميز، بدأت بالنكبة والتهجير عام 1948، وتمتد اليوم من خلال منظومة من الممارسات العنصرية

وأهمها وجود جدار الفصل العنصري الفاصل ما بين أراضي الضفة الغربية و"إسرائيل"، وقد شبهها الكثيرون بسياسة الفصل العنصري بجنوب افريقيا وهي سياسة "الأبارتهايد".

بالعودة لجذور كلمة الأبارتهايد نجد أنها من أصل لغة الأفريكانا، وتعني الفصل. وقد استخدمت في اللغة السياسية خاصة في جنوب أفريقيا للإشارة إلى نظام الفصل بين البيض والسود، لكنها اليوم تشير إلى أي نظام حكم يعمل على الفصل القسري بين مجموعات السكان، سواء على أساس قومي، أو ديني أو عرقي. أي أنه نظام حكم له مميزاته، لكنه مبني على الفصل القسري الموجه من خلال مجموعة معينة تجاه مجموعات أخرى تقع تحت سيطرتها (غانم، 2009). ويمكن أن نوضح الصورة بالآتي، نحن نعيش في فئتين، الحاكمة والمحكومة؛ إسرائيل الحاكمة تتمتع بمواطنة بيضاء، وفلسطين على الجهة المقابلة بمواطنة الملونين أي "السود" كما في جنوب أفريقيا. فإن إسرائيل تنظر للعرب الفلسطينيين على أنهم أقل قيمة، وتقسمهم إلى فئات. وحتى أن الحقوق التي يتمتعون بها تكون حسب هذه الفئات، فيتم التقسيم والتفريق بين فلسطينيي الضفة، وفلسطينيي القطاع في مكانه أقل منهم، وهكذا (غانم،2009). لكن يتم التعرف على الفلسطيني العربي من خلال شكله وحركاته ولغته، فهو غير ملون كما في جنوب افريقيا، لكنه مصنف ضمن سلم التدرج العرقي، بالتالي تتم معاملته على

هذا الأساس، فيضطر لإبراز هويته في أماكن عدة وباستمرار فقط لكونه عربي (أغازريان، 2010).

إن موضوع العنصرية والانحياز الثقافي من المواضيع التي شغلت المجال الاجتماعي والمجتمعي في الدراسات المختلفة. وقد كان الاعتماد في البداية على نموذج تطور الهوية لتفسير الانحياز والعنصرية، لكن توسع البحث ليشمل مصطلحات كالمضطهِد والمضطهَد لتفسير ما يُسمى العدالة الاجتماعية في سياق محدد.

ويتمحور نسيج الاضطهاد المجتمعي حول ثلاثة مستويات تتفاعل مع بعضها البعض، وهي: المستوى الفردي، والمستوى المؤسساتي، والمستوى الثقافي الاجتماعي (Hardiman & Jachson,1997). والعلاقة المستويات الثلاث ببعضها البعض يمكن تفسيره بطريقتين من التفاعل، هي: التفاعل الرأسي (العمودي)، والتفاعل العرضي (الأفقي).

ويعبر التفاعل الرأسي عن التجريد من الإنسانية، وحالة الوعي واللاوعي، والحرمان من حق العامل من قبل المُشغل، وتواطؤ هذا العامل مع الاضطهاد المجتمعي. حيث يكون التفاعل بين الناس بطريقة هرمية (فريري، 2002).

أما التفاعل الأفقي، فهو يمثل تفاعل الناس فيما بينهم من نفس الشريحة الاجتماعية، وهم على الأقل تقريباً متساويين على بعد واحد من الهوية الاجتماعية. وفي هذا المجال يمكن أن نجد انعكاس ظاهرة الاضطهاد بين الناس

من نفس الفئة على بعضهم البعض، كونهم لا يملكون القوة الكافية لتفريغ كبتهم على مضطهِدهم من الفئة الأعلى (Hardiman & Jachson,1997).

يفرق فلاح (Falah,1996) بين ثلاثة مفاهيم هي: الحرب، والتطهير العرقي، وإبادة المكان. ويقول أن هدف المحتل من التطهير عادة ما يكون طرد الناس طرداً قسرياً دون إعطاء مهلة. ويعتبر السياسة الإسرائيلية المتبعة مع الفلسطينيين هي سياسة "الحرب الكلية" والتي تستهدف المواطنين والمشهد أو الصورة الطبيعية، أي المعاني التي تحملها هذه الأرض، بمعنى أنها تحاول تعطيل المعاني الرمزية والتلاعب بها لصالحها.

كان هناك 2000 هدف مركزي تحت عنوان "الحفاظ على الميزان الديموغرافي في المدينة" أي في القدس. وكان الهدف الأساسي الوصول لما نسبته (62.2%) من اليهود و (37.8%) من العرب وغيرهم في عام 2020 مع أن هناك تنبؤ "متفائل" بنسب أعلى لليهود وأقل للعرب في الوقت ذاته نجد أن ذلك غير مرضٍ، فطبقاً للمطلب السياسي نسبة اليهود 70% مقابل 30% فقط من الفلسطينيين وغيرهم، والأغلب أن وجود الجدار اليوم سيقوم بتحقيق هذا المطلب (بريك، 2006).

أصبح التهجير القسري سياسة تتبعها اسرائيل ضد المواطن المقدسي بشكل خاص. وقد تنوعت وسائله، بهدف عزل مدينة القدس عن باقي فلسطين. ويعتبر

فرض "قانون المواطنة" أحد هذه الوسائل؛ فيُمنع أي فلسطيني ليس بحوزته إقامة دائمة في القدس، أي حامل للهوية الزرقاء، من الوصول إلى المدينة والإقامة فيها. ليس ذلك وحسب، فالسياسة المتبعة تقضي بهدم عدد كبير من المنازل، والاستيلاء على الأرض، والتوغل داخل الأحياء العربية لبناء المستوطنات، كما كان لبناء جدار الفصل العنصري داخل القدس وحولها دور كبير في عزل الفلسطيني المقدسي عن الفلسطينيين ممن حوله (أيوب، 2012).

ومن أهم الوسائل التي استخدمتها إسرائيل منذ بداية وجودها لإحكام السيطرة على الأرض هي وسيلة هدم المنازل (بريك،2006). وفي تقرير خاص تم إعداده من قبل مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة، والذي يتطرق لظاهرة البناء الفلسطيني "غير المرخص" في القدس، نجد فيه أنه يبرر وجود ظاهرة البناء غير المرخص في القدس نتيجة تقاعس السلطات الإسرائيلية عن تقديم التخطيط الكافي للمناطق الفلسطينية. فعدد التراخيص التي تُمنح لا تكفي، وتقدر قيمة الفجوة بين عدد البيوت المطلوبة والنمو السكاني البيوت المرخصة قانونياً بحوالي 1100 وحدة سكنية على الأقل في العام الواحد. وبسبب غياب البدائل يتم البناء بدون رخصة، وهناك ما يقارب 28% على أقل تقدير من مجموع البيوت الفلسطينية في القدس الشرقية خالفت شروط تنظيم البناء الإسرائيلية، أي ما يعادل 60000 فلسطيني من القدس معرض للتهجير (OCHA, 2009).

تركز إسرائيل في سياساتها على عامل التخطيط الديموغرافي حيث يهدف ذلك بالأساس لتطوير فكرة أن القدس هي عاصمة لإسرائيل وتعمل على تطوير المدينة لتكون مركزاً للشعب اليهودي. وهناك أولوية تعتمدها بأن تكون الأغلبية من الجماعات اليهودية. وذلك لم يأت اعتباطاً بل ارتبط بعمق بمفهوم دولة إسرائيل "الدولة اليهودية" أي أنها مقامة على أساس عرقي، بالتالي لن تقبل أن تكون عاصمتها تحتوي الأقلية ممن ينتمي لها (بريك،2006).

اليوم، يعيش ما يقارب 200.000 فلسطيني في القدس الشرقية بوضع خاص؛ كمواطنين أجانب يقيمون في إسرائيل. (الزغير وآخرون، 2006) وقد أصبحت سياسة الهدم المتبعة في القدس الشرقية تستخدم أداة لتهويد البلاد –وأخص بالذكر القدس الشرقية كوضع خاص– بالتالي تعزيز الاستيطان وتفريغ السكان العرب منها. وهي تتبع سياسات لهدم المنازل منها، مصادرة الأراضي والعقارات، وقانون أملاك الغائبين والذي يُعرّف جميع الفلسطينيين الذين كانوا بعيدين عن مكان إقامتهم بعد 1947\2\29 بأنهم غائبون وتتم مصادرة أراضيهم. أيضاً سياسة تسجيل العقارات في الطابو بحجة تنظيم الأراضي والبناء العشوائي. (الزغير وآخرون، 2006).

حسب ما ورد في جمعية حقوق المواطن الإسرائيلية، فقد أشارت الصحيفة الاسرائيلية "هآرتس" إلى أنه منذ عام 1967 تم مصادرة ثلث أراضي الفلسطينيين في القدس، ليتم استغلالها كشقق للسكان اليهود (جمعية حقوق

المواطن الاسرائيلية، 2012). وقد تم تحديد 40% من الأراضي تحت سيطرة الفلسطينيين كمنطقة خضراء ممنوع البناء فيها. إن المساحات المخصصة للتوسع العمراني لا تكفي لسد حاجيات المجتمع وتزايده المستمر. بالإضافة لتحديد عدد الطوابق المسموح بناؤها بطابقين إلى أربعة طوابق فقط باستثناء منطقة بيت حنينا 6 طوابق. في حين نجد البناء في المنطقة اليهودية مسموح بعلو يتراوح بين 8–24 طابقاً (بريك، 2006).

كذلك أصبحت الآثار تستخدم كسلاح سياسي ضد السكان الفلسطينيين، فقد استخدم الاسرائيليون علم الآثار لتبرير الاستيطان اليهودي وتعزيز النشاط الاستيطاني في المناطق الحساسة والمتنازع عليها مثل سلوان. بالتالي يتم تبرير شرعية مدينة داوود في الكتاب المقدس، وإنشاء حدائق الملك داوود التي أصبحت تشكل نقطة تهديد لسكان الحي بأكمله والتهديد بهدمه بحجة المطالبات غير القانونية، وإفساح المجال للتوسيع في حديقة داوود. (Al-Za’tari & Molony, 2010) .

لكن يحمل شاهين أهم ما يحاجج به ايلان بابي في كتاب عن التطهير العرقي لفلسطين، حيث يستبعد بابي وينفي أي صلة للدين كونه سبب لاحتلال فلسطين، بل يعتبر الموضوع كله موضوعاً سياسياً لتحقيق الاستيطان. ويؤكد ما يدعيه بواقع العمل الجاري في الوقت الحاضر، كما ويتطرق للاستراتيجيات الأساسية للحركة الصهيونية وأحداث حرب 1948. يؤكد بابي أن ما تتبعه إسرائيل في

سياستها الماضية والحاضرة ما هو إلا تطبيق لمبدأ الترحيل والهجرة القسرية (شاهين، 2006).

في دراسة (Mulaj, 2007) نجد الدراسة تسعى لتقديم نقد منطقي لطرد الجماعات المستهدفة من حيث الأمن، حيث توضح عدة أمثلة في مناطق مختلفة استُخدم فيها التطهير العرقي كآلية لخلق الأمن في عملية بناء الدولة القومية، وتبين أنه من المعيب استخدام التطهير العرقي كوسيلة لتأمين الأمن القومي. لكن مفهوم الأمن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية بناء دولة قومية، وهو حسب تعريف المؤسسة السياسية يعني إلى حد كبير الحاجة إلى علاقة مع إعادة توزيع السلطة في مجتمع معين من أجل تمكين الأمة وإضعاف الأقليات.

وفي دراسة بعنوان " انشطار الفلسطيني المقدسي بين هويته في إطار مجتمعه العربي في القدس الشرقية والمجتمع الإسرائيلي في القدس الغربية" لأليز أغازريان تقول:

"مكان المقدسي محدود. فالسلطات الاستعمارية تحدد نسله وامتداده الجغرافي والديموغرافي والبيولوجي، فيحترف حيل الامتداد والتسلل والتكاثر. يتنافس الجيران على المربعات والمثلثات والدوائر والحواكير أمام شح الموارد ورخص البناء. المكان المفتت يبتلع الزمان، والمقدسي يعيش حالة ترقب، فكيانه ووجوده في المدينة معرضان للتهديد الهلامي، والمستعمرون قد ينقضون على مكانه

الضيق في أي لحظة، أو ربما يتم ترحيله او اعتقاله او هدم منزله" (أغازريان، 2010، صفحة 81).

كما وتقدم أغازيان في نفس الدراسة أبعاد نفسية لشعور الفلسطيني بتميز خدمات الإسرائيلي مقابل إهمال المناطق العربية، فأصبح المقدسي " يحسد " مُسْتَعْمِرُه على مزايا يتمتع بها؛ فالإسرائيلي يعيش في المناطق النظيفة والشوارع الواسعة المعبّدة، ويقارن المقدسي نفسه به فلا يجد لديه أي من تلك المزايا، بل ويشعر "بالذنب" لوجوده في مساحة أصبح يعتبرها غريبة عنه (أغازريان، 2010).

وفي محاولة لتشخيص مفهوم الصمود في الوقت الراهن، تقوم حمامي بمقارنته عبر فترات زمنية، حيث اختلف معنى الصمود عما كان في السابق، فقد كان الصمود في السبعينات يعني الانتماء والتشبث في الأرض بالرغم من صعوبة الحياة في ظل الاستعمار، أما اليوم فهو بمعنى أن الصمود بات الاستمرار في الحياة والمضي قدماً فقط، أي رفض الفرد لعدم قدرته على الحركة والوصول للعمل أو المدرسة. وقد قارنت مفهوم الصمود ما حدث باضرابات الانتفاضة الأولى، واعتبرته حمامي ردة فعل ترفض توقف الحياة عن العمل، وهذه هي أكثر أنواع المقاومة في يومنا الحاضر (حمامي، 2005).

وبالحديث عن مصطلح الصمود، يجب أن أنوه لترابط بعض المفاهيم التي تتصل بموضوع الجلد، منها التكيف والصمود والمقاومة.

أما بالنسبة لمصطلح الصمود، فهو الأكثر ارتباطاً بمصطلح الجَلَد. فالصمود في السياق الفلسطيني هو استراتيجية فريدة في مقاومة الاحتلال من خلال ما تبقى موجود على الأرض، على الرغم من التجارب الصعبة المتواصلة (Dyer, 2013).

وقد بدأ استخدام مصطلح الصمود وارتباطه بالقضية الفلسطينية بعد عام 1967 عندما تم إنشاء ما تُسمى أموال الصمود، في اطار اللجنة الفلسطينية-الأردنية المشتركة، والتي هدفت لجعل استمرار وجود الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة و القدس الشرقية ممكن اقتصاديا، في الفترة التي كانت إسرائيل تعمل على التوسع السريع من خلال بناء المستوطنات. يدل مصطلح الصمود على وضع البقاء والاستمرار، وليس التخلي عن الحقوق السياسية وحقوق الإنسان. وتكون استراتيجيات الصمود على الأغلب استراتيجيات لاعنفية، نعمل على تسليط الضوء على مواطن القوة المشتركة لدى المواطنين (Dyer, 2013).

ومن هنا نشير لمصطلح "المقاومة"، وقد اختلف تطبيق الفلسطيني للمقاومة بأشكالها المختلفة؛ فقد كان دور المؤسسات في المقاومة اكبر في الانتفاضة الاولى حسب دراسة حمامي؛ حيث تستمر الحياة اليوم بوجود مقاومة مدنية دون وجود أطر منظمة توزع الادوار بهدف مقاومة الاستعمار، واصبح الكفاح عبثي يسعى الفرد فيه لتحصيل أساسيات الحياة، سابقا كان الفرد الفلسطيني يعيش

عقوبات جماعية والتي قل وجودها في الوقت الحاضر. لكنها ومع قسوتها كانت تعمل على خلق تجربة جماعية ومعنى. (حمامي، 2005).

أما بالنسبة لمفهوم التكيف، فيعرفه المالكي (المالكي وآخرون 2004) بأنه مجموعة من التدابير المتنوعة المتعلقة بالجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، سواء أكانت هذه التدابير منظمة أو غير منظمة بطريقة عفوية. ويتخذ الأفراد أو الجماعات مثل هذه الاجراءات للمحافظة على وجودهم، أو الخروج من حالة تهددهم من خلال التأثير بالبيئة المحيطة بهم، والتي تهددهم في وقتها في ظل ظروف صعبة يواجهها المجتمع.

إذاً، فهو مفهوم يعكس علاقات اجتماعية واقتصادية غي مواجهة الأزمات الطارئة بالأخص، ومحاولة إيجاد شبكات أمان من خلال المجتمع بهدف تبادل المنفعة ومواجهة عدم الأمن أو ما يسمى بالأزمة.

ومن خلال ما يحدث في الواقع الفلسطيني، بوجود دراسات تحدثت عن مفاهيم مشابهة أو قريبة في سياق علم الاجتماع مثلاً، كالصمود أو المقاومة ، فالتكيف هو ما ينتج من افعال كرد فعل سياسة السيطرة العسكرية الإسرائيلية والقمع، والتي تمكن المجتمع الفلسطيني من الاستمرار في الصمود بطريقة تتخذ الطابع المقاوم أيضاً، ولا تكتفي بالتكييف فقط، والجلد على المستوى الجماعي تمهيد وخطوة أولى للمقاومة، وشرط للتغير من خلال المقاومة. لكن التركيز حول مفهوم الجلد الجماعي يحمل البُعد النفسي.

الوضع في سلوان

في العشر سنوات الماضية أصبح 300 فلسطيني من منطقة سلوان بلا مأوى نتيجة لهدم المنازل "غير الشرعية"، وأكثر من 200 من هؤلاء هم من الأطفال. (Al-Za'tari & Molony, 2010)

من الأمور التي تستدعي وقفة خاصة وهي موضوع الهدم الشامل. اليوم هناك حوالي 1000 فلسطيني معرضين للتهجير في منطقة حي البستان في القدس الشرقية. ففي البستان هناك حوالي 90 بيتاً مهددين بالهدم الشامل. حالها حال مناطق أخرى مثل حي الفول في بيت حنينا، والعباسية في الثوري، وخلة العين في الطور، ووادي ياصول بين جبل المكبر والثوري. واجمالي عدد سكان هذه المناطق 3600 شخص. (OCHA, 2009). كما يواجه حوالي 550 شخصاً من سكان الشيخ جراح خطر طردهم من منازلهم في أرض متنازع على ملكيتها، فهناك خطة لبناء حي استيطاني مكون من 200 وحدة سكنية (شادي، 2009).

وقد قامت مجموعة من حركات المستوطنين بتمويل بلدية القدس الإسرائيلية للعمل على مخططات تفصيلية تركز على منطقة سلوان، كي تخدم المخططات الاستيطانية في سلوان، وكذلك الأمر بالنسبة لمنطقة الشيخ جراح. وهذا كله يؤكد على قدرة الحركات الاستيطانية في أخذ القرار وقوتها ونفوذها عندما يتعلق الموضوع بالأرض (الجعبة، 2009).

في البستان تحديداً، قررت بلدية القدس في أواخر السبعينيات جعل المنطقة منطقة "مفتوحة" أو "خضراء" يمنع فيها البناء. وقد حاول سكان الحي دون جدوى تقديم طلبات لتصاريح بناء بين 1977–2005، لكنهم صدموا عام 2004 بالقرار الذي صدر "بإزالة الأبنية غير القانونية" متجاهلين المخطط الذي كلّف السكان $77000 (OCHA, 2009) .

وهناك أمور أخرى ترتبت على هدم المنازل والاستفزازات المستمرة من قبل الإسرائيليين، منها ظاهرة اعتقال الأطفال في القدس. ففي تقرير خاص من إصدار (Save The Children, 2010) يبين بعض الإحصائيات الخاصة بمنطقة سلوان، ومأخوذ عن مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان؛ فيه أن عدد الأطفال الذين اعتقلوا ارتفع بشكل كبير في النصف الأخير من عام 2010. ويبين استمرار التوترات بين السكان الفلسطينيين، الذين يعيشون خطر فقدان منازلهم، والمستوطنين الإسرائيليين الذين يسيطرون على نحو متزايد على المنازل الفلسطينية والمواقع الأثرية في المنطقة، وأفراد الأمن الإسرائيلي الذين استعين بهم لحماية المستوطنين. ويبين أنه فقط بين سبتمبر وأكتوبر 2010، ألقي القبض على 32 طفلاً من قبل الشرطة الإسرائيلية وقوات الأمن. وشملت هذه الانتهاكات اعتقال الأطفال من بيوتهم في منتصف الليل، واستخدام العنف من قبل القوات الخاصة أثناء الاعتقال؛ واستجواب الأطفال في غياب والديهم، واحتجاز قاصرين دون سن 12

سنة، أي أقل من سن المسؤولية الجنائية، وكانت الاعتقالات تتم لتهم بسيطة كرشق الحجارة على الأغلب (Save the Children, 2010).

في دراسة صادرة عن المركز الفلسطيني للإرشاد، ومؤسسة إنقاذ الطفل، ومؤسسة التعاون(2009). بيوت مهدمة- معالجة آثار هدم المنازل على الأطفال الفلسطينيين والأسر الفلسطينية-، درست الأثر المتراكم على الوحدة الأسرية بالنسبة لعدة جوانب (الصحة النفسية والجسدية والاقتصادية وإمكانية الدعم الأسري والاجتماعي). وأيضاً تطرقت لمسؤوليات من هم مسؤولون عن توفير الحماية والمساعدة. كانت النتائج توضح المشكلات التي تتعرض لها الأسر بالأساس، منها عدم الاستقرار، فالمعظم احتاجوا أكثر من سنتين لإيجاد سكن دائم. وعادةً قرب المسافة إلى مكان السكن الأصلي، وشبكة موارد العائلة المبنية، يساعد على عملية التأقلم للأهل والأطفال، وقد يُخفف من الآثار السلبية. بالإضافة إلى ذلك، وجد أن هناك أهمية للحالة النفسية للوالدين على الأطفال، رغم أن البحث وجد أن ثلث الوالدين من العينة أصبحوا يعانون مشكلات جسدية ونفسية بعد الهدم. وأن الأطفال بعد مرور ستة أشهر من وقت الحدث كانوا يعانون بالمقارنة مع غيرهم من الأطفال ذوي المعطيات الديموغرافية المشابهة في نفس المناطق الجغرافية، فأطفال البيوت المهدمة كان لديهم مؤشرات الانطواء والاكتئاب\ القلق، والصعوبات الاجتماعية، وارتفاع معدلات الأفكار

التوهمية والوسواسية القهرية والذهانية وصعوبات الانتباه والجنوح، والسلوك العنيف (مركز الإرشاد الفلسطيني وآخرون،2009).

ومن الدراسات التي أفادتني كثيراً دراسة (Gray, 2011) وهي دراسة حديثة قام بها الباحث البريطاني بالتعاون مع مركز معلومات وادي حلوة على منطقة سلوان ككل وخلص لبعض النتائج التي سأعرضها على شكل نقاط لأهميتها:

- في هذا البحث، ذكر بعض الأهالي في سلوان موضوع الدعم النفسي، فبالنسبة لهم هي من الخدمات التي يحتاجونها لكنهم يفتقدون إليها. ووفقاً لأقوال إحدى الأخصائيات النفسيات في المنطقة فإن هذه الخدمة معدومة. لكن بالنسبة للأهالي فقد أكدوا على أهميتها في مقابل تكاليفها الباهظة حيث يصل سعر الجلسة الواحدة لحوالي 150 شيكل للساعة، وأن هناك بعض المؤسسات الحكومية التي يقع على عاتقها متابعة الدعم النفسي لكنها لم تتابع الموضوع.
- والبعض الأخر من السكان قد ذكروا أهمية وضرورة تقديم الدعم المالي. ويعود ذلك لارتفاع تكاليف أتعاب المحامين والكفالات المالية والمواصلات وغيرها من الغرامات. وقد وصفوا جهود المؤسسات الدولية "بغير الكافي" لكنه أفضل من لا شيء.
- أشارت العينة من سكان سلوان في هذا البحث لفكرة استفزاز السكان من قبل المستوطنين وحراسهم، واستدراجهم للاشتباكات، ليتم تصوير الإسرائيليين باعتبارهم الضحايا، والفلسطينيين على أنهم العنصر المعتدي.

- وفيما يتعلق بالنشاط المفرط الذي يعاني منه الأطفال، فيقول الباحث أنه من الواضح أن هناك حاجة لوجود مساحات أكبر ومزيد من الفرص حتى يتمكن الأطفال من تفريغ طاقاتهم، والتعبير عن ذاتهم. حيث أن عدم توافر مثل هذه المساحات يصعّب إمكانية إبعادهم عن الشوارع.
- هناك قناعة لدى المشاركين في بحث Gray أن المجتمع الدولي قادر على الضغط للتأثير على السياسات الإسرائيلية. فإنهم يحاجّون بأن حواجز الضفة الغربية وضم القدس الشرقية وغيرها من السياسات الممارسة يعتبرها القانون الدولي غير قانونية. لكن الأمر لم يلق استجابة كبيرة حتى تلك اللحظة.

أما النسبة لدور المنظمات المحلية في الوقت الحاضر، والتي ذكرها البعض في الدراسة السابقة ل**Gray**، فقد كان دور المؤسسات اكبر في الانتفاضة الاولى حسب دراسة حمامي؛ حيث تستمر الحياة اليوم بوجود مقاومة مدنية دون وجود أطر منظمة توزع الادوار بهدف مقاومة الاستعمار، واصبح الكفاح عبثي يسعى الفرد فيه لتحصيل أساسيات الحياة، سابقا كان الفرد الفلسطيني يعيش عقوبات جماعية والتي قل وجودها في الوقت الحاضر. لكنها ومع قسوتها كانت تعمل على خلق تجربة جماعية ومعنى. (حمامي، 2005)

الافتراضات:

تنطلق الدراسة من أن الواقع الذي يعيشه أهل منطقة سلوان واقع مرير يصعب العيش فيه تحت ظل استعماري استيطاني، يعمل على ضرب البنية المجتمعية من

خلال توغل البؤر الاستيطانية بين السكان، والتضييق بكافة الوسائل الممكنة بدءاً بالوضع الاقتصادي السيء، وصولاً لهدم المنازل بحجة "عدم قانونيتها". مما يزيد الأمر صعوبة حتى في الممارسات الحياتية اليومية، الأمر الذي يسعى بالمحصلة النهائية لتهجير الفلسطينيين.

سأحاول في هذه الدراسة أن أجد المعززات والعوامل التي تجعلهم صامدين رغم الأزمات. وأفترض أن الجَلد الجماعي هو أمر يختلف من شخص لآخر لكن يتأثر بالسياق الذي يوجد فيه.

الفصـــــل الثـــالث

المنـهجية

مدخل:

إن العمل على دراسة ظاهرة معينة يحتاج لفحص وتمحـيص فـي تفاصـيل الأحـداث المختلفة، والوقوف على التحولات والتغيرات لفهم الحدث في سياقه المميز له.

وفي الدراسة التي عملت عليها، كان الهـدف هـو الوصـول لفهـم المعـززات التـي من الممكن أن تدعم الجلد المجتمعي، ومن جانب آخـر فحـص العوامـل التـي مـن الممكن أن تضعف الجلد المجتمعي، لدى مجموعـة مـن سـكان قريـة سـلوان التـي تعيش ظروفاً خاصة وصعبة بسـبب الاسـتعمار وسياسـة هـدم المنـازل بالإضـافة لوجود البؤر الاستيطانية داخل النسيج الاجتماعي.

للوصول لهدفي، وجدت أن استخدام المـنهج الوصـفي والـذي يعتمـد علـى وصـف البيانات، وتحليلها والتعبير عـن هـذه البيانـات بصـورة كيفيـة سـيكون الطريقـة الأفضل لفهم الموضوع بشـكل متعمـق، باعتمـاد المقـابلات بشـكل أساسـي، ليـتم تحليلها في النهاية حسب منهجية التحليل في النظرية المجـذرة التـي تعطـي الفرصـة لاستخراج النظرية حسب خصوصية السياق الذي يتشـابه فـي جوانـب مـع حـالات معينة من الاستعمار، كجنوب افريقيـا علـى سـبيل المثـال، ويختلـف فـي جوانـب أخرى تتعلق بالسكان والهويـة الاجتماعيـة الخاصـة بهـم، بالإضـافة لخصوصـية

ورمزية المدينة، وغيرها من العوامل. وسيتم التوسع بمبرر اختيار النظرية المجذرة كمنهجية لهذا البحث لاحقاً بتفصيل أكثر.

المكان والزمان (المحددات المكانية والزمنية):

المكان الأساسي للبحث تمحور في بلدة سلوان، والتي تقع في جنوب شرقي القدس، بالقرب من البلدة القديمة، وبالتحديد فهي ملاصقة لسور القدس من جهة "باب المغاربة". أما المناطق التي تم التركيز عليها فقد كانت بالأساس منطقتي حي البستان، والذي هو اليوم مهدد بالهدم الكامل له. والمنطقة الثانية فكانت حي وادي حلوة، وهو الحي الذي أقيمت فيه ما تسمى "مدينة داوود"، والحي مستهدف اليوم بشكل كبير من قبل المستوطنين، بالإضافة لإخطارات هدم كثيرة موزعة على بيوت هذا الحي.

كانت المقابلات التي أجريتها مع الأهل في منازلهم، فهو المكان الأمثل حيث أنه أصلاً قريب من مكان سكني في رأس العامود، ولا يوجد مكان أفضل منه. باستثناء مقابلة واحدة مع أحد الناشطين المجتمعيين في سلوان، والتي تمت في مكتبه في نفس المنطقة.

أما عن الزمان، فكان لي مع العائلات لقاء رئيسي واحد، وآخر سابق له بهدف التعريف عن الموضوع والترتيب لموعد لاحق. وكان العمل مقسم إلى قسمين، الأول كان الدراسة الاستطلاعية الأولية خلال شهري تشرين ثاني وكانون أول

2011. والثاني، أي البحث الرئيسي: خلال الفترة الواقعة بين تشرين الثاني ونيسان 2013/2012.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من سكان البيوت الذين حصلوا على إخطارات هدم، ويعيشون في منطقة قريبة من المستوطنين في القدس الشرقية، في حي البستان على وجه الخصوص، حيث يقدر عددهم بثمانية وثمانين بيتاً. والأحياء المجاورة مثل حي وادي حلوة وغيره في سلوان. وبالطبع تعيش العديد من المناطق الفلسطينية أوضاعاً مشابهة أو قريبة إلى حد ما، لكن العمل على هذه المنطقة بالتحديد كان بسبب خصوصيتها كقرية عربية في القدس الشرقية تحت سلطة إسرائيلية تتبع فيها سياسات عنصرية باتت واضحة وخطيرة في الفترة الأخيرة.

عينة الدراسة:

كانت عينة البحث قصدية (غرضية). وقد تم الاستناد إلى ثلاثة مصادر مختلفة لجمع المعلومات بهدف التثليث؛ أي تثليث المعلومات من مصادر مختلفة لمعرفة انسجام الأدلة بين مصادر المعلومات والبيانات. وذلك للتأكد من صحة البيانات. (Patton,1990)

وقد كانت مصادر جمع البيانات كالآتي:

1- مقابلات مع عائلات:

تكونت العينة الأساسية من عدد من عائلات قرية سلوان، وتحديداً من الأحياء الأكثر تعرضاً للأحداث كالهدم ومضايقات من المستوطنين والتي أدت لاعتقالات ما بين الكبار والصغار. كان منها حي البستان وحي وادي حلوة، بحيث أستطيع أن أشكل فكرة واضحة وشاملة. ولم يكن تحديد اللقاءات بوجود جميع أفراد العائلات بالأمر السهل، فالتنسيق كان قدر المستطاع مع أكبر عدد ممكن من أفراد العائلة الواحدة، ليتم في النهاية العمل مع 6 عائلات. وقد تم اختيارهم بالتعاون مع مركز معلومات وادي حلوة في سلوان بعد توضيحي لهم عن الدراسة والهدف منها، وبناء علية أجمع الفريق من المركز على أسماء العائلات المُختارة لتكون العينة ممثلة للمجتمع، وقد اخترت هذه العائلات لعدة أسباب، منها: حصولهم على اخطارات هدم لمنازلهم، وقرب المستوطنين منهم، وإمكانية تعاونهم معنا. وتجدر الإشارة بأن المقابلات كانت تتم مع متحدث واحد من العائلة بوجود باقي الأفراد والمداخلات منهم، وملاحظة التفاعل فيما بينهم.

وقد تضمنت المقابلات على عدة أسئلة كانت تتمحور حول بعض المواضيع الأساسية التي تبلورت بعد الدراسة الاستطلاعية التي أجريتها. فقد كانت نقاش حول طبيعة الاخطار الذي وصل العائلة، وكيفية تلقيهم للخبر، وعن الظروف التي يعيشونها. وكنت أسأل عن العوامل التي تعزز جلدهم بعد تفسيري لمعنى

الجلد. وقد ركزت على جوانب قد بـــرزت فـــي الدراســـة الاســـتطلاعية، وهـــي دور المؤسســـات الدوليـــة والمحليـــة، والعامـــل الاجتمـــاعي والسياســـي والـــديني. وكـــان السؤال الأخير الذي أنهي به اللقاء عادة يدور حول مدى شعورهم بالاستقرار.

2- مقابلات مع نشطاء مجتمعيين:

ويُقصد بهم الأشخاص من نفس المجتمع الـــذين يعيشـــون نفـــس الســـياق المجتمعـــي، ويهتمون للقضية المتعايشة، وتُترجم اهتمامـــاتهم بنشـــاطهم علـــى أرض الواقـــع مـــن أجل التغيير للأفضل.

وقد تم إجراء مقابلتين مع فردَين فـــاعلين فـــي المجتمـــع، وكـــان اختيارهمـــا بســـبب احتكاكهما المتواصل مع المجتمـــع المحلـــي، بالتـــالي همـــا علـــى اضـــطلاع واســـع بالأحداث التي تجري، الأمر الذي شكل لديهما القدرة علـــى تقيـــيم الوضـــع، وإعطـــاء فكرة شاملة. فمن الممكن أن يساهم عرض القصـــص والتجـــارب التـــي تبـــين القـــدرة على التضامن والأمل من خلال النشطاء المجتمعيـــين فـــي المجتمعـــات التـــي تواجـــه الحرب أو القمع السياسي، وذلك يساهم فعلياً في دراسة معنى الأمـــل فـــي مثـــل تلـــك المجتمعات. (Hernández, 2002)

3- المشاهدة:

المصدر الثالث لجمع المعلومات عن طريق المشـــاهدة الشخصـــية. فقـــد كانـــت فتـــرة وجودي مع مجتمع البحث ثريّة بـــالمواقف، والمشـــاركة بالنشـــاطات، وبـــنفس الوقـــت أعطاني الفرصة لمراقبة الأحداث وجمع المعلومات.

** وسأتناول كل عائلة بوصف بسيط كخلفية عن كل واحدة، وسيتم طرح تفاصيل أكثر في بداية فصل النتائج.

- ملاحظة: سيتم استخدام أسماء مستعارة بديلة للمشاركين حفاظاً على السرية.

عائلة لينا

لينا تبلغ من العمر 35 سنة، زوجة وأم لأربعة أبناء، أنهت دراستها الثانوية حتى "التوجيهي". وقد تلقت العائلة كغيرها من عائلات حي البستان إنذار هدم منذ حوالي عشر سنوات بحجة البناء غير المرخص.

عائلة أبو خالد

يعيش أبو خالد مع أبنائه الخمسة في حي البستان. وهو عضو في اللجنة المسؤولة عن حي البستان، ومتابع لقضيته بشكل دائم ومستمر منذ حوالي 13 سنة عندما حصل على مخالفة البناء الأولى.

عائلة ام علي

تبلغ أم علي حوالي الأربعين من العمر. أم لسبعة أطفال، لكنها ورغم مسؤولياتها فهي دائمة المشاركة في عدة نشاطات يتم عقدها في خيمة البسان قرب منزلها.

حصلت عائلة أم علي على إخطار الهدم في عام 2008، وقد ترتب على ذلك تبعات عدة أثرت على العائلة بشكل كبير.

عائلة أم حسين

تسكن أم حسين مع زوجها شيخ جامع حي البستان والناشط في المنطقة. وهي أيضاً أم للطفل "حسن" أكثر أطفال سلوان عدداً في مرات الاعتقال. وبيتهم كغيره من بيوت حي البستان فهو مهدد بالهدم بأية لحظة.

عائلة ندى

ندى أم لبنتين وولدين. عائلة ندى تسكن في منطقة مكتظة بالمستوطنين، في الحي المطل على حي البستان، يتشاركون وإياهم بنفس حائط بيت أخذوه عنوة منهم. أما بالنسبة لإخطار الهدم، فحالياً لا يوجد إخطار على البناء القائم، لكنهم كانوا قد هدموا سابقاً جزءاً إضافياً للبيت القديم هدماً ذاتياً.

عائلة أبو عمر

يعيش أبو عمر مع زوجته، وخمسة من أبنائه. يعمل أبو عمر بمحل تجاري بسيط قرب منزله الواقع في حي البستان، والذي بني عام 1973. وقد حصل على الإنذار الأول لهدم بيته في عام 2002.

** أما عينة النشطاء المجتمعيين في منطقة سلوان، فقد تمت مقابلة اثنين منهم:

السيد فاروق

السيد فاروق في حوالي الخمسينيات من العمر. يعيش في بيته المهدد بالهدم، على أطراف حي البستان مع أولاده وزوجته. ملتزم في عدة لجان في المنطقة، منها لجنة الدفاع عن سلوان، ولجنة حي البستان.

السيد محمد

هو أحد النشطاء على المستوى المجتمعي. مدير لمركز فعال بشكل دائم على مستوى المنطقة.

أداة الدراسة

وصف الأداة:

اعتمدت هذه الدراسة بشكل أساسي على المقابلات في عملية جمع البيانات المطلوبة، وطرح التساؤلات. فقد كنت قد رغبت بدايةً باستخدام المقابلة الفردية لاعتقادي أنها تساعد في الفهم العميق للمبحوث وأنها الطريقة الأسهل للوصول إلى ما أسعى إليه. إلا أن المقابلة الفردية تحولت في النهاية إلى مقابلة سردية جماعية معمقة مفتوحة تروي أحداثاً متتابعة من الذكريات والأفكار المؤلمة والمضحكة في الوقت ذاته، فتحولت المقابلة من كونها أسئلة محددة لتصبح حوار حول قضايا برزت من خلال المبحوثين أنفسهم. فالمقابلة الفردية لم تكن فكرة جيدة خاصة أنها كانت في منازل العائلات، فكان الجو العائلي يصلح أكثر لمقابلة سردية تقص حكاياتهم. بالتالي المصدر الأساسي للمعلومات لدي كان من مقابلات العائلات، كل عائلة كوحدة متماسكة، تتأثر ككل بالوضع السائد، خاصة عند الحديث عن هدم لمنزل مشترك.

أما المصدر الثاني للمعلومات، فكان مقابلات تمت مع النشطاء المجتمعيين، فكانت أيضاً في مضمونها مقابلات سردية، تحكي عن قصص وحكايات عاشوها

وأفراد المجتمع، كونهم يحتكّون بشكل كبير بالمجتمع المحلي، الأمر الذي شكل لديهم القدرة على تقييم الوضع، وتكوين فكرة شاملة.

وأخيراً فقد شمل جمع المعلومات المشاهدة الشخصية بالمشاركة؛ فقد كانت فترة وجودي في مجتمع البحث ثرية بالمواقف، والمشاركة بالنشاطات، وبنفس الوقت أعطتني الفرصة لمراقبة وجمع المعلومات.

بالتالي فهناك ثلاثة مصادر تم من خلالها جمع المعلومات لعمل التثليث.

التحليل:

كما أشرت سابقاً فالبحث هو بالأساس بحث كيفي نوعي، وقد تم اتباع النظرية المجذرة (Grounded Theory) عن طريق صياغة وتطوير نظرية للواقع الذي يتم دراسته، وتطوير هذه النظرية من خلال جمع للبيانات الخاصة بظواهر الواقع المدروس، وتحليلها بربط المفاهيم والعلاقات التي تربط بينها، والتي تكون خاضعة للاختبار، فيتم تحديد مسميات معينة للظواهر والأحداث المتشابهة، ليتم ضمها إلى بعضها البعض، ليتشكل ما يسمى "الفئات" أو "المحاور". أي تتم صياغتها بشكل استقرائي (كاميك، رووس وياردیلي،2007).

والنظرية المجذرة تتيح المجال للابداع، ذلك بإثارة الأسئلة المتعلقة بالبيانات. وتعطي المجال للمقارنات التي من خلالها نستطيع أن نستخرج رؤية جديدة للظاهرة، ذلك لما ينتج عنه من نتائج مُصاغة من الواقع المدروس، ناتجة عن

مفاهيم وعلاقات تم الربط فيما بينها من خلال نفس السياق البحثي، وتكون هذه العلاقات قابلة للاختبار. ويهدف ذلك كله لبناء نظرية خاصة توضح الظاهرة وتكون قابلة للتطبيق (ستراوس وكوربين، 1990).

وبعد تفريغ البيانات، تكون قراءة نصوص المقابلات المكتوبة لجميع المشاركين عدة مرات. من بعدها تتم عملية عنونة قضايا وعبارات تحمل معنى بحد ذاتها وتكررت في إجابات عدد من المشاركين. من بعدها يكون إعادة تصنيف هذه العبارات ضمن محاور متعددة مع تحديد الأمثلة التي تنطوي تحت كل محور. وأخيراً تتم إعادة قراءة جميع المقابلات وتحديد اقتباسات من المشاركين، بحيث يحمل كل اقتباس فكرة أو معنى يوضح المحور الذي تندرج تحته (كاميك، رووس وياردیلي،2007).

والجدول التالي يمثل المرحلة الأولى من نظام الترميز الذي تم استخدامه، وكان من بعده أن تم تحويل هذه الكلمات في الجدول لاقتباسات المبحوثين كاملة، ومن بعدها استطعت تمحيصها وتفصيلها لجوانب إيجابية وأخرى سلبية. ولأختصر الفكرة، يمكن الاطلاع على الجدول التالي الذي يوضح نموذج على أول مرحلة للتصنيف.

دور العلاقات الاجتماعية	العامل الاقتصادي	المعتقدات	دور المؤسسات والإعلام	الوعي السياسي الوطني والقانوني	الشعور بالاستقرار/ عدم الاستقرار
الخيمة التضامنية- كلنا بندفع- تكافل اجتماعي- روح معنوية- ندوات- دعوة- اخوتي بدفعوا كمان. زينا زي غيرنا- متابعة بشكل جماعي- تماسك عائلي داخلي- مواساة مزعجة "يا حرام"- بشكي لحماتي، بنات حماي، بناتي. حماي- سلفي- سلفتي- بساعدوني- خوف على شباب الحي والأقارب- ضليت ببيت أهلي- ابن عمي كمان انحبس- بفش القلب- زيارتك تفريغ نفسي- زوجي أقرب إلي- استمد قوتي منه- الجميع بانتظاري بعد التحقيق. لجنة الدفاع عن سلوان- لجنة حي البستان- عادات وموروث يربط مجتمعنا بصلات حياة مشتركة- داعمة.	ضرائب- الأرنونا- قسط شهري- بندفع باستمرار- مخالفة- معناش مصاري- ما بقدر أشتري بالدفع النقدي- مديون. مبلغ المخالفة- كفالة مالية- كفالة على الورق- كأنّو الواحد بستنا مصاري. نشتري الدار- دفعوا المبلغ- أتعاب محامي. غرامات كبيرة جداً تتجدد- بدفع ضرائب- أخذ الأموال- مشرد- الصراع أكبر من أن يكون مادي.	من ناحية شرعية- الأمور دينية- وكلناها لربنا- ذكر الله- الصلاة- مدخل المسجد الأقصى وحامية له. الحديقة التوراتية تبعتهم- الصبر ثواب كبير- ميزان حسنات- الصلاة راحة نفسية- ملابس الصلاة. الحمد لله- بتشاهد لأوصل سلوان- الصلاة للعبادة أكثر منها للتفريغ النفسي. ارتباط عقائدي- قدسية الأرض- احنا مرابطين- الأرض جزء من عقيدتنا- سلوان في محيط المسجد الأقصى.	مساعدات معدومة- مؤتمر صحفي- مؤسسات محلية- مؤسسات دولية- دعم من مؤسسات ممثلة لدول خارجية- الخيمة التضامنية- دعم خارجي. نشاطات- لا يوجد متابعة مستمرة- إيد لوحدها ما بتزقف- لفئات معينة. ليس اهتمام كافي- لا مكان لتسلية وترفيه الأطفال. لا يوجد دعم ذو قيمة كبيرة-	لمّا ينزنقوا بطلعوا قانون جديد- هذا تهجير والمسألة مش مسألة بديل- أنا ولدت هون- إنتماء- محبة- - قوانين- حقي- اسرائيل تلفق أي تهمة. بيعطوش تراخيص- متابعة مع المحكمة- حبس منزلي- بدهم يخلعونا- يزيحونا- احنا أهل هاي البلد- اعتقالات أطفال غير ملثمين مروحين من المدارس- منع تجول- شرط جزائي- سجن الأحداث- تلفيق التهم- بؤر استيطانية- اقتحام منزل. استولوا على بيتنا- محاكم وأوراق رسمية- تزوير أوراق- شكوى ضدي من جندي- من حقي أبقى في بيتي. هدم قضائي وإداري- ارتباط وطني- ارض ورثتها عن أجدادي- ارتباط انساني- اقتلاع من الأرض- الناس واعيين لما حصل من لجوء 48 ونزوح 67- صراع وجود- انتخاب- تطبيع- قانون عنصري- استئناف.	تفكير سلبي- غامرت- مهددة- بدهم القدس صحراء- متشرد- تعنيف- ضرب- كلام فاضي غريمك القاضي- عقوبة- تبول لا لإرادي- رعب- همّة بينوا بس احنا ما بنقدر نعمل هيك- استفزازات- أوامر هدم- مختالفات سير- مضايقات مستوطنين. أولادي بتحبّسوا- اعتقال- مطاردين وين ما كان- عايشة على أعصابي- مضغوطة نفسياً- وراك وراك. تأهّب- قنابل غاز- خطر- رمي مطاط- تراجع بالمدرسة- توتر. ترخيص المباني صعب- معاناة- الخوف من المستقبل- الصمود مش سهل- موازين القوى معروفة. لمين نرحل ونترك البيت- ما بنرضى بديل- أرضي- داري. من حقي أعيش في بيتي- الجميع بانتظاري. بنحافظ على الأرض- النصر هو الصبر- احنا بنحب الحياة وبنحب انعيش.

صدق المعطيات:

من مميزات هذه الدراسة هو احتوائها على ثلاثة مصادر لجمع المعلومات، أي العمل بتعدد تقنيات الجمع، وهو ما يسمى بالتثليث. وقد كان ذلك من خلال جمع المعلومات من خلال مقابلات العائلات، أيضاً عمل مقابلات خاصة مع نشطاء مجتمعيين وفاعلين من سلوان، بالإضافة إلى الملاحظة الشخصية التي نتجت من خلال تجربتي كباحثة، والتي أعطتني المجال للمكوث فترة طويلة في الموقع.

فبدايةً، تم العمل على عدة أسئلة للدراسة الاستطلاعية، وبعدها قمت بمحورة الأسئلة بحيث تكون قليلة وشاملة. وقد تم عرضها وتحكيمها من قبل مشرف البحث والذي أقر بأنها جيدة وشامله لكل الجوانب. وقد تم عرض النتائج الأولية للدراسة الاستطلاعية في مؤتمر علم النفس المجتمعي في النرويج في تشرين ثاني 2011 ونقاشها وتعديلها.

الإجراءات:

أردت في بداية عملي على البحث أن يكون له علاقة بالبيوت المهدمة، وما يترتب أيضاً على وجود بؤر استيطانية متغلغلة بين ثنايا بيوت فلسطينية الأصل. ذلك أن الموضوع يهمني بشكل شخصي، وأعتبر أن من واجبي كفلسطينية مقدسية إبراز قضية القدس ولو في جانب من جوانب معاناتها. ليس ذلك فقط، بل إنه موضوع بحاجة للدراسة بشكل جدي كما أعتقد.

بعد قيامي باختيار موضوع الجَلد الجماعي كعنوان لمشروعي، وبعد أن تمت الموافقة عليه، قمت بالرجوع إلى الأدب التربوي والدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع وحددت المنهجية والخطة الأنسب التي سأعمل بها. أردت أن تكون المقابلات التي أجريها مهنية، بالتالي قمت بالتنسيق مع مركز مدى الإبداعي في سلوان، حتى يقوم بالتنسيق مع اللجان المسؤولة عن الدفاع عن سلوان ويترتب من خلاله مع العائلات التي توافق على استقبالي وعلى المشاركة. اقترح المركز بأن ترافقني مساعدة من موظفيهم بحيث تكون مألوفة للعائلات، ولا نتسبب بالإحراج لأي منهم، ولتكون المقابلة أكثر مهنية، فوافقت على ذلك، وتم الاتصال بيني وبين زميلتي للتنسيق وتعريفها بالموضوع والهدف منه.

كانت الزيارات الأولى التي قمت بها للدراسة الاستطلاعية كلها بمرافقة زميلتي من مركز مدى، وقد ساعدني ذلك في الوصول من خلالها للعائلات. وكان من العوامل التي ساهمت في تعزيز قبولي كباحثة في مجتمع بحثي، أنني بالأساس أنتمي لهذا المجتمع، فأنا أحمل اسم عائلة سلوانية مع أنني أسكن في أطراف سلوان، لا في وسط الأحداث. وأشعر أن هذا الجانب كان جانب قوة بالنسبة لي؛ فيمكن تقبلي بسهولة بين سكان المنطقة بحكم المعرفة من المركز أو من خلال علاقات اجتماعية، وبنفس الوقت أنا لا أعيش يومياً في المنطقة، أي يمكن اعتباري "باحثة خارجية" الأمر الذي يجعلني أرى الظواهر بشكل أوضح وبطريقة محايدة مختلفة عن كيفية رؤية الأفراد من الداخل لها.

الصعوبات:

واجهت صعوبة في بداية تحضيري للبحث متعلقة بالدراسات، ففي حين أنني استطعت إيجاد كم من الدراسات الأجنبية، شعرت بالأسى لعدم وجود دراسة عربية واحدة تتحدث عن الجَلد الجماعي، بوجود دراسات تحدثت عن مفاهيم مشابهة أو قريبة في سياق علم الاجتماع مثلاً، كالصمود أو المقاومة، لكن التركيز كان حول مفهوم الجلد الجماعي الذي يحمل البُعد النفسي.

ثم انتقلت إلى مرحلة العمل، ولم أكن أتوقع أن تتعاون معي كل العائلات، بالتالي توجهت للمركز(مدى) الذي يعتبر محل ثقة بالنسبة لأفراد المجتمع. وهذه الخطوة احتاجت لوقت أطول، حيث سعى المركز لتوفير زميلة مساعدة لتلاشي التسبب بالإحراج لأيٍّ كان. كما قام المركز بالتنسيق مع عدة عائلات والتي اعتذر بعضها، وقامت أخرى بتأجيل الموعد، الأمر الذي عطل خطة العمل، حيث الفترة الزمنية لإجراء هذه الدراسة قصيرة.

الفصل الرابع

"عرض النتائج"

يتم في هذا الفصل عرض النتائج التي توصلت إليها من خلال المقابلات التي تم إجراؤها مع المبحوثين، بالإضافة إلى مناقشة هذه النتائج مع الأخذ بعين الاعتبار الإطار النظري الذي تم طرحة سابقاً، وصولاً للإجابة عن السؤال المركزي ألا وهو: "ما مدى قدرة أهالي بلدة سلوان على الجَلَد الجماعي في ظل الوضع السياسي القائم من هدم بيوت وتهجير، ووجود المستوطنين في المنطقة؟". وبما أن المقابلات قد أجريت مع أفراد من المجتمع، كان لا بد بالطبع تغيير الأسماء.

ونظراً لاختلاف طبيعة كل عائلة عن غيرها من العائلات والظروف التي تعيشها، والتي تؤثر وتحتل أهمية بالغة في عملية تحليل المعلومات التي تم جمعها، فلا بد من التطرق لسياق كل مبحوث على حدة بشكل موجز في البداية، بذكر طبيعة كل منهم والمشكلات الرئيسية التي يعيشونها وغيرها من المعلومات التي تكفل إعطاء صورة مختصرة وواضحة حول الظروف التي تعيشها العينة.

وقد ارتكز البحث على ستة محاور ظهرت من خلال جمع المعلومات وترميزها في جداول حسب طريقة التحليل المتبعة في النظرية المجذرة. والمحاور متعلقة بعوامل تعزز الجلد الجماعي بالاتجاه الإيجابي، أو تضعف الجلد الجماعي بالاتجاه السلبي. وقد تفرعت لمحاور أصغر توزعت بالاتجاه السلبي أو الإيجابي

الذي تلعبه العوامل في المحاور الرئيسية. وكانت المحاور الرئيسية التي تشكلت كعوامل تعمل باتجاه تعزيز أو إضعاف الجلد الجماعي كالآتي:

1- تشكل الحس الجماعي ودور العلاقات الاجتماعية

هناك شبكة قوية من العلاقات والشبكات المجتمعية، وقد كان لإدماج العلاقات المجتمعية العربية التقليدية (أي أسر ممتدة) الكثير من الدعم والتأثير الايجابي. هذه الشبكة المجتمعية تلعب دوراً إيجابياً في تحسين ودعم المجتمعات المحلية.

2- دور العامل الاقتصادي

ارتفاع معدلات الاعتقالات والعقوبات المفروضة من المحاكم، وأتعاب المحامين، والضرائب العالية، وتكاليف النقل والمواصلات، بالإضافة للخسارة الفعلية للمنزل بما في ذلك الممتلكات، تشكل جميعها أزمة وعوامل خطر تجعل جلد المجتمع مهمة صعبة ومعقدة.

3- نظام المعتقدات كعامل من عوامل الجلد الجماعي

يعتبر الدين بشكل عام والعلاقة الروحية الفريدة من نوعها مع القدس، باعتبارها المدينة المقدسة، جزءاً أساسياً في الشعور المجتمعي القوي ومعنى الحياة، وكان سبباً في مقاومتهم والبقاء على قيد الحياة في مواجهة المخططات الإسرائيلية لتهويد المدينة.

4- دور المؤسسات والإعلام

كان لبعض المؤسسات دوراً ايجابياً في نشر التوعية بين الناس، والدعم المادي في بعض الحالات. كما ساهمت المؤسسات الإعلامية بنشر قضية سلوان.

ولم يخلُ الأمر من بعض الانتقادات حول عدم تلبيتها لهدفها، وبكونها ملتزمة بأجندات معينة.

5- الوعي السياسي الوطني والقانوني

فكان هناك نوع من الشعور بالمسؤولية تجاه الواجبات الوطنية، والذي عزز الجلد لديهم، خاصة بعد تطور الوعي في الجانب القانوني من خلال تجارب سابقة مروا بها بالرغم من محاولات إسرائيلية عديدة لخداع الناس، واستغلال فئات معينة من الناس لحاجة أهالي سلوان لمكاسب شخصية.

6- الشعور بالاستقرار مقابل عدم الشعور بالاستقرار

فعلى الرغم من وجود الشعور بالانتماء النفسي للمنطقة، كان من الواضح بأن هناك حالة من عدم الشعور بالأمان، والخوف من المستقبل. ذلك بوجود استفزازات إسرائيلية مستمرة، واعتقالات شملت الكبار والأطفال.

واتجه كل محور باتجاه سلبي أو إيجابي، أو كلاهما معاً، وسيتم توضيح ذلك بالتفصيل في هذا الفصل بعد التعريف بالعينة وأهم المشاكل التي تواجهها.

تعريف بالمشاركين بالبحث

عائلة لينا

لينا هي أم وزوجة تبلغ من العمر 35 سنة، أنهت دراستها الثانوية حتى "التوجيهي". عائلة لينا مكونة من زوجها الذي يكبرها بسنتين والذي كان من المفترض أن نلتقيه لكن للأسف فهو دائم الانشغال. أمّا عن أطفالها، فلديها أربعة أبناء، ثلاثة ذكور، بعمر 15 سنة، 14 سنة و11 سنة، وبنت واحدة بعمر سبع سنوات. وقد كانوا جميعاً موجودين، لكنهم كما الأطفال دائمي الحركة فلم يشاركوا إلا لفترة قليلة من المقابلة التي استمرت حوالي الساعة والنصف.

وقد تلقت العائلة كغيرها من عائلات حي البستان إنذار هدم منذ حوالي عشر سنوات بحجة البناء غير المرخص. وقد كان هذا الخبر صدمة كبيرة للعائلة التي كانت لم تنتهِ من بناء البيت ولم تسكنه حتى تلك اللحظة. وبعد المفاوضات، تقوم العائلة بدفع حوالي 2000 شيكل كل شهر كمبلغ للمخالفة والذي بدوره يمكنهم من تأجيل قرار الهدم لفترة زمنية غير معروفة لكنه لا يُلغي القرار إلا بصدور رخصة جديدة للبيت، وهو أمر شبه مستحيل في حي البستان خاصة، ذلك بالإضافة لتكاليف المحامي (محامي المنطقة كاملة) والمهندس.

تقول لينا أنها تخاف على أولادها كثيراً، فمع أن مدارسهم قريبة من البيت، إلا أنها لا تؤمن عليهم بالمشي للوصول لها فهناك سيارة خاصة تنقلهم.

تم اعتقال عبد أول مرة يوم ميلاده بعمر 11 سنة وحجزه لمدة 7 ساعات، وقد كان يومها يغسل حماره أمام البيت عندما ركض أحد الشباب تجاه بيتهم ومن خلفه سيارات "المستعربين"، ومن شدة خوفه ترك عبد الحمار وخرطوم الماء وركض خلف الشاب ليتم حجزه معه في النهاية. لم تكن تلك آخر مرة، فقد تم حجزه مرتين من بعدها. ليس وحده بل أيضاً أخوه الأكبر الذي أمضي ليلة في السجن وتم إخراجه بدفع كفالة مادية، حتى أولاد عمه من نفس جيله تعرضوا لمواقف مشابهة...

عائلة أبو خالد

أبو خالد رجل اجتماعي، ونشيط كما سمعت عنه؛ فهو عضو في اللجنة المسؤولة عن حي البستان، ومتابع لقضيته بشكل دائم ومستمر منذ حوالي 13 سنة عندما حصل على مخالفة البناء الأولى.

تتكون العائلة من سبعة أفراد، ثلاث بنات بعمر 15، 13 و 11 سنة ويصغرهم الولدين بعمر تسع وسبع سنوات. والذين كانوا جميعاً في المنزل في وقت المقابلة. بالإضافة إلى وجود أخته ووالدة زوجته في وقت المقابلة.

في أثناء الشروع ببيت أبي خالد قبل حوالي 14 سنة، وصلته ورقة تنص على قرار هدم إداري لبيته، قام أبو خالد بتقديم أوراقه لمحامٍ خاص، وبعد مراجعة المحامي للبلدية أخبره بأن الوضع في البستان على ما يبدو خطير والتخطيط المستقبلي في البلدية يستثني جزءاً كبيراً من بيوت الحي.

في اليوم الذي تلقت فيه عائلة أبو خالد أمر الهدم، طُلب منه دفع مبلغ 4000$ حتى يتم تعديل قرار الهدم وتأجيله بشرط دفع غرامات مالية بقيمة 72.000 شيكل يتم دفعها بأقساط بقيمة 1000 شيكل لكل شهر. في كانون أول 2009 تم دفع آخر قسط من المخالفة. لكنها لم تكن نهاية القصة، فبعد مرور شهرين وبتاريخ 8\2\2010 تحديداً تفاجأ أبو خالد بطلب استدعاء جديد من بلدية القدس، حيث طالبوا بحكم زوجته بالسجن خمسة أيام لعدم التزامها بالشروط، بالإضافة لدفع غرامة جديدة. وبالتفاوض مع البلدية بحضور محامي أبي خالد تم تخفيف الحكم حتى أصبح بعدم حبس الزوجة شرط دفع 15.000 شيكل نقداً، و40.000 شيكل إذا لم يتم إصدار رخصة ومخطط جديد خلال السنتين القادمتين.

عائلة ام علي

أم علي من النساء النشيطات في حي البستان، كنت قد صادفتها في مواقف عدة. تبلغ أم علي حوالي الأربعين من العمر. أم لسبعة أطفال، أكبرهم علي في الثانية عشرة من العمر، وأصغرهم هبة بعمر السنتين. فالبيت مكون من تسعة أفراد بوجود الأم والأب.

حصلت عائلة أم علي على اخطار الهدم في عام 2008، وقد ترتب على ذلك تبعيات عديدة أثرت على العائلة بشكل كبير.

تفاجأت أم علي بقدوم أفراد من البلدية والجيش، والذين قاموا بتصوير البيت من الداخل والخارج وقاموا بتسليمها ورقة إخطار بالهدم، وطلب للإخلاء خلال 21 يوم. وقد أخبرتني أن بيتهم في ذلك الوقت كان حديث البناء، وقد استطاعت وزوجها تغطية حوالي 60% فقط من تكاليف بنائه... ازدادت عليهم الضغوطات، وأكثر من تأثر كان أبو علي. ففي نفس الليلة التي تم تسليم ورقة الإخطار لهم، وفي حوالي الساعة الرابعة فجراً، استيقظت أم علي لتجد زوجها مستلقياً بجانبها " كالجثة الهامدة" على حد تعبيرها.

بدأت الإجراءات القانونية لمحاولة تخفيف الحكم. تحوّل إخطار الهدم بعد التأجيل لمخالفة بمقدار 50.000 شيكل.

تعاني أم علي وزوجها اليوم من مشاكل في تربية أبنائهما؛ فيجدون صعوبة بالغة في الرد على أسئلتهم عن البيت وعن الدفاع عن الأرض. وهي تعترف أنها في كثير من الأحيان تناقض نفسها، فهي تحذر ابنها علي من الاقتراب من الحي في وقت المشاكل، وفي وقت آخر تشجعه على الدفاع عن بيته وأرضه.

عائلة ام حسين

ام حسين من النساء النشيطات في منطقة البستان، وهي زوجة لشيخ الجامع والناشط في المنطقة. تمت المقابلة معها بوجود زميلة من مركز مدى. لم يتواجد أي من أبنائها لانشغالهم مع أننا انتظرنا ابنها الأصغر "حسن" ولم نستطع أن نلتقي به. زوجها للأسف كان بالسجن في وقت المقابلة.

فهي أيضاً أم للطفل "حسن" أكثر أطفال سلوان عدداً في مـرات الاعتقـال، وكـان قـد اعتقل حتى يوم المقابلة 13 مرة ولم يتجاوز عمره 12 سنة ونصف.

كان الحديث بموضوع آخر اعتقال لحسن يشكل ضغطاً واضـحاً علـى ملامـح أمـه، وقد بات ذلك أوضـح عنـدما بـررت صـعوبة المـرة الأخيـرة بالتحديـد؛ فـالأب بالسجن، والابن الأوسط الذي يسكن معها، عليه شروط مـن المحكمـة اقتضـت بـأن لا يكون بيده حيلة. فكانت الأم بين نارين، لا تعـرف مـا تفعلـه حـين هبـت أعـداد كبيرة من الجيش إلى بيتها في الساعة الخامسة صباحاً دون سابق إنذار.

ويجدر الإشارة إلى أن أبناء أم حسين الـذكور الثلاثـة كـانوا قـد اعتقلـوا، حتـى أن الابن الأكبر قد اعتقل إدارياً لحوالي السنة بعد وقت قريب من زواجه.

عائلة ندى

ندى أم لبنتين وولدين، أكبرهم تبلغ من العمر 15 سنة، والصغيرة 6 سنوات.

كان من المفترض أن أقابل ندى بوجود أفراد من عائلـة زوجهـا، والـذين يتعـاملون على أنهم أسرة واحدة، وعاشوا تجـارب عديـدة مشـتركة. تسـكن نـدى فـي بيـت مستقل في عمارة أهل زوجها بين بيت العائلـة الرئيسـي (أي والـد الـزوج) وأخـو زوجها وعائلته. وتتميز هذه العائلة بالتماسك الكبير حتى يعتقـد النـاس كمـا حـدثني البعض بأنهم جميعاً اخوة.

عائلة ندى تسكن في منطقة مكتظة بالمستوطنين، يتشاركون وإياهم بنفس حائط بيت أخذوه عنوة منهم. أما بالنسبة لإخطار الهدم، فحالياً لا يوجد اخطار على البناء القائم، لكنهم كانوا قد هدموا سابقاً جزء إضافي للبيت القديم هدماً ذاتيا.

وقد تعرضت ندى نفسها للاعتقال والتحقيق بعد أن فاجئها أحد الجنود في غرفة حمام خارجية، فضربته مدافعة عن نفسها. وما كان منه إلا أن رفع عليها قضية. لم تكن ندى تعرف، لكن قد وصل خبر لزوج ندى بأن الشرطة تبحث عن زوجته لاعتقالها. قامت ندى وأخذت أولادها برفقة زوجها وابتعدت عن بيتها لحوالي الأسبوع. تم نبش بيتها، وسلمت نفسها ليتم التحقيق معها.

لم تكن تلك هي المشكلة الوحيدة، فأثناء التحقيق معها كان العمل على التحقيق مع ابنها الذي كان قد تم استدعاؤه بتهمة رشق الحجارة. وقد أخبرتني أمه بتراجعه الكبير بالمدرسة، فهو يُظهر دائماً القوة، لكنه فعلاً قد تأثر، حتى أنه عانى من تبول لاإرادي لفترة 5 شهور، أثرت على نفسيته.

عائلة أبو عمر

يعيش أبو عمر مع زوجته، لديهما خمسة أبناء. يسكن معهم اليوم أصغر اثنين بعمر 18 سنة و10 سنوات. ولديه ولدان متزوجان ويسكنان في القسم السفلي من البيت وعند كل منهما طفلين.

يعمل أبو عمر في محل تجاري بسيط قرب منزله الواقع في حي البستان، وعضو سابق في لجنة حي البستان التي انسحب منها لتحفظه على بعض المساءلات المادية التي لم يجد لها أجوبة.

تلقى بيته أول إنذار ومخالفة في 2002، وقد حصل على الإنذار الأول لهدم بيته في عام 2002. كانت قيمة المخالفة في البداية 40 الف شيكل وبعدها تجددت بقيمة 38 الف شيكل وبعدها في عام 2005 بعد أن أنهى دفع المخالفة، حصل على امر هدم. ويجدر الإشارة إلى أن البيت مبني منذ عام 1973، وتم توسيعه عام 1984.

لم يتوقف الأمر عند أوامر الهدم فقط، بل إن هناك من استغل الموقف، كمهندسة اسرائيلية أقنعت أبو عمر واخوته بقدرتها على المساعدة، وقد استلمت 14 الف دولار كأتعاب مقابل حل القضية التي لم تحضر محاكمها حتى. وكان قد تم توقيع اتفاقية معها، إلا أنها كانت باللغة العبرية التي لا يتقنها، بالتالي لم يدرك بعض البنود التي وضعت في غير صالحه.

أما بالنسبة للاعتقال، فقد تم اعتقال ابنه قبل أربع سنوات بعمر12 سنة. وبقي ليلة كاملة في التحقيق. من بعدها، تأثر لفترة طويلة، وعانى من التبول اللاإرادي، والخوف، حتى أصبح يرفض النوم إلا بحضن أمه.

**** أما عينة النشطاء المجتمعيين في منطقة سلوان، فقد تمت مقابلة اثنين منهم:**

السيد فاروق

السيد فاروق في حوالي الخمسينيات من العمر. مثقف، يحمل شهادة ماجستير. يعيش في بيته المهدد بالهدم، على أطراف حي البستان مع أولاده وزوجته.

ويعيش السيد فاروق هموم أهالي بلدته من خلال إلتزامه في عدة لجان في المنطقة، منها لجنة الدفاع عن أراضي سلوان، وهي لجنة مسؤولة عن كل احياء سلوان، وهي اللجنة الكبيرة التي تعنى بصد الاستيطان وهدم المنازل، وضد كل نواحي التطبيع مع الاحتلال. أيضاً هو عضو فاعل في لجنة حي البستان التي تأسست بعد صدور قرار هدم شامل للحي.

بالنسبة لبيته فقد بني قبل عام 1967. وبعد عام 1988 ارسل طلب للبلدية لتوسعة البيت لكنهم وبعد عناء في تلبية متطلباتهم الكثيرة رفضوا الطلب، وكان الرفض الدائم دون إبداء أي أسباب مما اضطره وبسبب زيادة عدد أفراد البيت ليوسع مساحة البيت الذي تكون من 20 متر مربع في العام 1991، ودون موافقة البلدية. بالتالي بدأت قصته مع المخالفات منذ عام 2005 وبعدها وفي بداية عام 2010 وصله أمر هدم آخر باسم زوجته وفي شهر 2010/10 وصل أمر آخر باسم الزوجين. أما عام 2012 وبعد وصول امر هدم اخر قام بالاستئناف في المحكمة المركزية، وقد رفضت الاستئناف، وحدد تاريخ

2013/5/31 كآخر موعد لهدم المنزل هدم شخصي، وبدايةً من تاريخ 2013/6/1 تستطيع البلدية أن تهدم إدارياً دون أن تنذر بذلك.

وقد اعتقل السيد فاروق مرات عديدة، ولم يتوقف الأمر عنده فقط، حيث خاض جميع أفراد العائلة تجربة الاعتقال أو التحقيق أو الحبس المنزلي، بمن فيهن زوجته التي تم التحقيق معها فقط لكونها جزء من هذه العائلة الفاعلة.

السيد محمد

هو أحد النشطاء المعروفين على المستوى المجتمعي. ومؤسس ومدير لمركزين فعالين بشكل دائم على مستوى المنطقة، حيث يُعنى الأول بتنشيط المجتمع بكافة فئاته من خلال مشاريع وفعاليات مختلفة، أما الثاني فهو المسؤول عن توثيق الأحداث ومتابعتها.

بالنسبة للسيد محمد فهو شاب متزوج ولديه طفلان في المرحلة الأساسية في المدرسة. عاش ودرس خارج البلاد، لكن استهداف المستوطنين لمنزله في سلوان بشكل شخصي هو الذي دفعه وحفزه على ضرورة عودته لسلوان، بل والعمل الوطني المجتمعي الذي توسع اليوم ليشمل القدس بشكل كامل.

توجه السيد محمد علماني وليس ديني، لكنه يؤمن كما وجدت من خلال حديثه بأهمية تدين من حوله، ويحترم ذلك.

تم اعتقال السيد محمد مرات عديدة، وتنوعت أشكال اعتقاله والتضيق عليه ما بين الحبس المنزلي (الإقامة الجبرية)، وطلبه التحقيق كل فترة، وحتى الحبس الفعلي لفترات طويلة نسبياً بالإضافة لاقتحام منزله بشكل متكرر.

المحور الأول: تشكل الحس الجماعي ودور العلاقات الاجتماعية في ذلك.

إن مجتمعنا من المجتمعات التي تولي الأهمية لدور العائلة والعلاقات الاجتماعية بشكل كبير، لذا كان لا بد من توجيه السؤال للمبحوثين عن دور العامل الاجتماعي وتأثيره على الجلد الجماعي. وهو أمر لم أضطر في بعض الأحيان لأسأل عنه، كونهم يبدأون برواية قصصهم من تلقاء أنفسهم.

الجانب الايجابي

- الشعور بأن المشكلة هي مشكلة جماعية تواجه المجتمع ككل.
- تشكل العلاقات الاجتماعية الموجودة بين السكان ملاذاً آمناً للتفريغ وتلقي المساعدة خاصة في نطاق علاقات الأقارب.
- أصبحت هناك تجمعات نسوية، ومنها مجموعات إنتاجية من النساء اللاتي تلتقين بشكل دوري.
- كان تَشَكُّل التجمعات التضامنية من لجان محلية من أهم التغيرات التي طرأت على منطقة سلوان.

أبحاث عديدة تحدثت عن العلاقات الاجتماعية وتأثيرها على الجلد الجماعي، فهناك تأثير كبير تمت ملاحظته بارتباط الجلد بالشبكات الاجتماعية الداعمة التي تتمحور حول الثقة، ووجود معايير وثقافة مشتركة (Bottrell, 2009) ، وهو أمر متوقع خاصة إن كان الحس الجماعي المجتمعي عالياً؛ أي بوجود تواصل بين أفراد المجتمع، وانتماء لبعضهم البعض، وللمكان الذي ينتمون إليه في فترة زمنية محددة. (Dugas, 1997)

هناك سمات للمجتمع المحلي في سلوان، مع أن في البنية السكانية المتواجدة فيها تبايناً واختلافاً في البنية السكانية المتواجدة فيها. فهناك أشكال واضحة من الدعم والتضامن من خلال التشارك في أوضاع حياتية وأزمات متشابهة إلى حد ما بالتالي تداخل في المصالح والعلاقات.

لقد برز شعور عام بأن المشكلة هي مشكلة جماعية تواجه المجتمع ككل. فيمكن القول بأن هناك حس مجتمعي خاص قد تطور في أثناء الأزمة التي يعيشها أهالي سلوان، وشعور الفرد منهم بأنه ليس الوحيد الذي يعاني كانت مصدر للجلد والصبر على الموقف. في هذا الصدد يقول أبو عمر: "أنا مش الوحيد اللي حصلت على أمر الهدم والمخالفات، فحتى أخوتي دفعوا مبالغ كبيرة فالدفع مستمر إحنا وأهل البستان كلنا بندفع باستمرار".

ومن ناحية أخرى تقول لينا في سياق الحديث عن تكاليف المخالفات: "لو الواحد داره لحاله كان مصيبة، بس لمّا تحسّي إنو عليكي وعلى 88 دار.... اللّي بصير علينا بدّو [سوف] يصير على غيرنا".

فاليوم هناك شعور بالعقوبة الجماعية التي تحدثت عنها ريما حمامي، لكن تختلف هذه الدراسة في أن الشعور بالعقوبة الجماعية عاد كما السابق في سياق ظروف سلوان، فوجود التجربة الجماعية يعطي المعنى (حمامي، 2005) وبرأيي يعزز من الجلد الجماعي.

ومن أمثلة ذلك أيضاً استخدام ندى لنفس التعبير الذي استخدمته لينا: "اللي بصير علينا بصير على غيرنا"، فهي تعتقد أيضاً بأنه من حقها ومن حق الجميع أن يبقى في بيته، وهم كجماعة مصيرهم مرتبط ببعضهم البعض.

وفي سياق جزء آخر من المقابلة، وضح السيد محمد أن أهالي سلوان في الوقت الحاضر يشعرون بأهمية الموقف كموقف جماعي وليس فردي، فيقول: "الناس ردة فعلها تنبع من قناعة بأنه عشان أدافع عن داري لازم أدافع عن دار جاري. والقناعة الموجودة أيضاً بعدم وجود بديل لأي منهم".

وممكن أن نستنتج من الاقتباسات السابقة أن هناك وعي بأن القضية الشخصية متشابكة ومتداخلة مع القضية الجماعية على المستوى الأكبر. وقد لاحظت خلال تواجدي في المنطقة بعض من هذه الظواهر. والناس قد بَنَت اليوم شبكة من العلاقات القوية التي أصبحت كالجسد الذي يعمل على الدفاع عن نفسه، ويحذر

باقي أعضاءه عند اقتراب الخطر فمثلاً، أثناء زيارتي لأبي خالد، تلقى مكالمة هاتفية، وأجاب عليها ليخبرني بعد أن أنهاها بأن أحد العمال في "مدخل الحارة" اتصل به وحذره من وجود سيارات البلدية في المنطقة، والتي لا ينبئ وجودها خيراً على من يدين "للدولة" بأي ضرائب أو مخالفات.

كما أخبرني أبو خالد نفسه موقفاً آخر مشابهاً عندما وصله إخطار الهدم لبيته في وقت مبكر، وبعد مراجعة المحامي للبلدية أخبره بأن الوضع في البستان على ما يبدو خطير والتخطيط المستقبلي في البلدية يستثني جزءاً كبيراً من بيوت الحي. وفي تلك الفترة لم تكن مشكلة البستان واضحة، وقد تم تسليم أبي خالد واثنين آخرين من جيرانه نفس الإخطار. وحسب ما قال أنه خلال بعض الأحاديث الاجتماعية قام بتحذير من حوله، وفعلاً قد وصلت أعداد كبيرة من الإخطارات الفردية للبيوت.

أما لينا فكانت دائمة الاتصال بأخيها الذي يسكن منطقة تكشف الحي على رأس الحارة، وهي منطقة تعج بكاميرات المراقبة، ليخبرها كلما رأى تحركاً غريباً ويسأل عن أبنائها خوفاً عليهم. وأمثلة ذلك كثيرة يمكن الإسهاب في تفاصيلها، كالاتصالات التحذيرية السريعة التي تنتشر بين السكان في حال ملاحظة وجود أفراد "مشبوهين" كالمستعربين أو سيارات التأمين الوطني. وكنت قد شهدت مواقف مماثلة، حتى أن صاحب الدكان القريب من المركز قد جاء يوماً مسرعاً ليخبرني بضرورة تحريك سيارتي خوفاً من مخالفتها.

أما بالنسبة للسيد محمد –الناشط المجتمعي– فقد أخبرني أن بداية القصة كانت عندما طلبت البلدية من السكان أن يقوموا بعمل مخطط، فيقول:

"هلأ البلدية زي ما بحكوا يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. يعني، زي كمان ما بقول المثل جاجة حفرت عراسها عفرت... البلدية يعني بشكل غير مباشر شجعت السكان ليكونوا وحدة واحدة، فاجتمع السكان وباشروا بجمع 1000$ كبداية لعمل المخطط وعملوه، شعر السكان بانه الخطر جماعي ومش فردي".

أي يمكن القول بأنه وحسب معيار علاقة الأفراد بمجتمعهم، والذي تحدثت عنه دوغاش (Dugas,1997)، فهناك حس مجتمعي جماعي واضح من خلال الاتصال والانتماء الموجود، والشعور بالقضية على أنها قضية جماعية واحدة.

ومن هنا يمكن أن نتوجه لما ذكرته الدراسات السابقة عن الهوية الاجتماعية، والفهم الحقيقي للهوية يحتاج إلى تحليل العلاقات بين الجماعات وتعريف هوية الذات بوصفها عضواً في الجماعة. حيث الأفراد مدفوعون لتحقيق هوية اجتماعية إيجابية. من خلال تكوين الهوية للجماعات من خلال الفرد، أي اعتبار أن مفهوم الذات مكون من جزأين، شخصية الفرد كفرد، وكون الفرد عضواً في جماعة(Tajfel & Turner, 1986). وبالتأكيد فإن ذلك مرتبط أيضاُ بجزء لا يتجزأ من نفس الموضوع، ألا وهو موضوع الحس والشعور المجتمعي كمعيار لمستوى الاتصال والانتماء في المجتمع الواحد، والذي أثنت دوغاس

(Dugas,1997) عليه، على اعتبار أن وجوده يزيد من تماسك المجتمع، وندرة وجوده تؤدي لانخفاض المشاركة المدنية وارتفاع نسبة الجريمة.

لكن لاحظت البلدية الإسرائيلية هذا الالتفاف، وحسب ما روى لي السيد محمد بأن البلدية بمرحلة من المراحل كجزء من تلاعبها بنفسية السكان واصلت الموضوع، لكن انتهى الموضوع بتماسك السكان؛ فقامت بتسليم كل صاحب بيت إخطاره بيده. وهكذا صارت تسلم مثلاً 5 عائلات اخطار هدم، وعائلات أخرى لم تصلها أية اخطارات للهدم أو المخالفة، الأمر الذي وعّى العائلات التي تلقت أوامر هدم أن توكل محامٍ شخصي، وفرضوا التعامل الفردي.

مع ذلك استطاع أهالي سلوان أن يلاحظوا بمساعدة بعض مَن عمل على نشر التوعية من الناشطين أن ما يحصل هو أمر مخطط له. فيقول السيد محمد في هذا السياق:

"كانت في السابق الأمور تحصل حسب توجهات فردية، بس اليوم في ناس قبل التقدم بأي خطوة تقوم باستشارات، كان يستشيروا المراكز المحلية المختصة، "بيجولنا مثلاً شو نعمل؟ لمين نتوجه؟ وإحنا بنوجههم".

ومن الملاحظات التي وجدتها أثناء سير المقابلات العائلية أن القصص التي رواها الأفراد لم تكن تتعلق بهم بشكل شخصي وخاص فقط؛ بل امتدت لذكر قصص عديدة عن الأقارب والجيران. وهنا بالتحديد أستطيع أن أذكر أن مقابلتي لندى كانت الأكثر تميزاً من هذا الجانب، فكانت طوال فترة المقابلة تحدثني عن

قصص أفراد من حولها، ولم تركز على نفسها فقط. فحدثتني عن قصص تتعلق بالجيران وركزت على مشكلات واجهت سلفتها (زوجة أخ زوجها) وغيرها من القصص.

وأستطيع أن أربط ذلك بما تحدث عنه زايد في أن الانتماءات الاجتماعية تحدد هوية الفرد الاجتماعية كجزء من مفهوم الذات، حيث يستمد الأفراد تقديرهم للذات من خلال هويتهم الاجتماعية (زايد،2006). وهذا ما حدث مع ندى، فهي ترى قوتها وخوفها وحتى ضعفها من خلال من يحيط بها. وكانت قد ذكرت أنها في مواقف كثيرة كانت تخاف وتفكر بمن حولها أكثر من تفكيرها بنفسها فقالت:

"بديش يتم اعتقالي من بيتي، خفت عاللي حولي؛ فخفت بأن تستثار مشاعر شباب الحي والأقارب، خاصة بأنه مش متعارف عليه ومن غير المقبول أن يتم اعتقال امرأة ببساطة، فخفت من تبعيات الحدث كاعتقال زوجي أو ابني أو غيرهم نتيجة ردات فعل وانفعالات".

وأثناء انتقادها لاستفزازات المستوطنين المستمرة في المنطقة، كانت متعاطفة جداً مع أفراد مجتمعها، تذكر أيام عاشوها بسلام حتى وصل المستوطنون لحيّهم، فقالت في هذا الصدد:

"ومن يومها لليوم مشاكل؛ اليوم يعاني جميع أفراد الحي من وجود المستوطنين، (تذكر أسماء متتالية من شباب الحي الذين اعتقلوا على أثر الاستفزازات المستمرة)... وهذا التاني انحبس –مشيرة لابنها سالم–... وأنا كمان انحبست!".

وتُعزى مثل هذه المواقف لما تم ذكره عن موضوع الحس المجتمعي والهوية الاجتماعية التي تشكلت لدى الأفراد، فأصبح الترابط سمة، تربطهم القضية الوطنية الواحدة، وأزمة يعيشها الجميع.

تشكل العلاقات الاجتماعية الموجودة بين السكان ملاذاً آمناً للتفريغ وتلقي المساعدة خاصة في نطاق علاقات الأقارب. فقد عبر معظم أفراد العينة خاصة من النساء بأن "الفضفضة" كانت من أهم أنواع التفريغ النفسي وقت الضغوط والأزمات، وعادة ما يكون هذا النوع من الأحاديث بين الأقارب مثل ما أجابت أم حسين عندما سألتها عن ما تفعله وقت الضغط فقالت: "بحكي مع أي حد، مع حماتي، بنات حماي، أو بناتي.."، والبعض مثل ندى تحاول أن تشكي همها لمن حولها، خاصة من تعتبرهم ممثلين للقضية ونشيطين سياسياً، فأخبرتني عن أحد أقاربهم والذي يعتبر من الفاعلين على مستوى الحي ووصفته بأنه "بفش القلب".

وبما أن الدعم النفسي من الخدمات التي يحتاجونها حسب ما قالوا وما اتفق عليه (Gray, 2011) فإننا نجد أن الأسرة كانت المصدر الأساسي خاصة بين الأزواج في الخروج وعلاج الأزمات النفسية، الأمر الذي أكدت عليه النساء في العينة، أما الرجال فعادة لا يعبرون لسبب من الأسباب عن مشاعرهم بسهوله، فلم يكن رأيهم واضح لدي. وأعزو ذلك للسياق الثقافي الاجتماعي الذي يقيد الرجل غالباً في موضوع تعبيره عن مشاعره.

واعتبرت ندى أن الحديث في المواضيع الضاغطة من أهم العوامل التي تُبقي على الصحة النفسية؛ معتبرةً زيارتي لها نوعاً من التفريغ النفسي، فهي بحاجة لمن يحدثها وتشعر باهتمامه بها. وتقول بهذا الخصوص بأنها شعرت بزوجها أقرب لها بعد مرورهم بالأزمات، فقد خاف عليها ووقف بجانبها حتى نهاية المطاف، وفعلاً كانت تستمد قوتها منه. وفي نفس السياق روت أم خالد عن نفسها أنها أصيبت بالاكتئاب عندما جاء قرار الهدم أول مرة، وأنه لولا مساعدة زوجها لها ووقوفه معها لما كانت استطاعت الخروج من تلك الأزمة. وقد وضحت أن زوجها سند لها في كل المواقف الصعبة.

ولم تتكر ندى فضل كل أفراد عائلة زوجها، فكان أخو زوجها هو من تكفل بالمحامي، وأبو الزوج كان بانتظارها طوال فترة التحقيق معها خارج المبنى، وحتى أن منسوب السكر كان قد ارتفع عنده. وقد تذكرت ندى لحظة خروجها من التحقيق، فأخبرتني بأنها بكت بشدة لمّا رأت الجميع بانتظارها خارج مبنى التحقيق لحوالي 12 ساعة كاملة. وعددت لي بعض من كان بانتظارها، فأبوها وأخوتها وزجها وأخو زوجها وأبوه وبعض من عائلة الزوج، حتى أمها المسنّة كانت هناك وكانت قد أخبرت الجميع بأنها ستبقى بانتظار ندى، وإن لم يخرجوها في تلك الليلة لأحضرت فراشها ونامت أمام المحكمة. "بتعرفي مين حبيبيك ومين لأ بمتل هيك لحظة" قالت ندى.

وكانت لينا تعتقد بأن الجميع متكافل في الشدائد، فكل من يحس بوجود مشكلة أو قدوم جيش أو مستوطنين ومستعربين يخبّر عن ذلك ويحاولون نشر الخبر بين بعضهم البعض. وقالت في ذلك: "سبحان الله.. رب ضارة نافعة".

فصفات المجتمع المحلي الذي يتميز بتقاطع مصالح الأفراد وهمومهم موجودة، كما وأن هناك ترابط وتأثير لنظرة الفرد نحو ذاته من خلال وجوده وسط مجموعة، وأدى ذلك لتكون الشعور الجماعي (نحن) (المالكي وآخرون، 2004).

لكن برأي السيد محمد، فالتكافل الاجتماعي في سلوان لا يمكن إنكاره، مع ذلك وفي الوقت نفسه، هو ليس راضٍ عنه؛ كونه شهد فترات من النضال في الانتفاضة الأولى كان فيها كل الشعب الفلسطيني يداً واحدة، فيقول: "التكافل موجود ومقارنة مع 2007 احسن بكتير، لو قارناها بقبل أوسلو فقبلها كان احسن".

فعند تحليل العلاقات الفلسطينية الداخلية، نجد أنها قد تأثرت فعلاً بأحداث تاريخية كانت السبب في صعود وهبوط مستمر في طبيعة الصراع. فكانت الفترة التي تبعت اتفاقية أوسلو نقطة تحول مفصلية في مسيرة الشعب الفلسطيني تتميز بالمسالمة، وعلى النقيض كانت الفترة التي سبقتها في الانتفاضة الأولى فترة يمكن وصفها بالثورة الشعبية. ومن الممكن أن ذلك أدى بطبيعة الحال لخلق

فجوة لدى البعض، خاصة الذين شاركوا في العمل النضالي في الانتفاضة الأولى.

أصبحت هناك تجمعات نسوية، ومنها مجموعات إنتاجية من نساء يلتقين بشكل دوري. لإنتاج بعض الحرف اليدوية البسيطة كالتطريز والتصنيع الغذائي والخياطة.

فالتغيير الأهم الذي لاحظته النساء في حي البستان، كان كما وضحت لينا وام علي وكذلك ام خالد التي تصف علاقة النساء باليد الواحدة. فالنساء في البستان قد تعرفهن على بعضهن البعض بشكل أكبر. فمجموعة الأنشطة الجماعية ينتج عنها الفخر والاعتزاز بالعمل على المشروع الجماعي، وتجميع وجلب السكان معا، وزيادة الشعور بالانتماء إلى المجتمع حسب دراسة (Dugas,1997). فإن الزيارات بين نساء الحي أصبحت أكثر –على الرغم من وجود بعض المشاكل العائلية بين الرجال–، وعادة ما تتجمع مجموعة النساء لدرس الدين الأسبوعي على سبيل المثال هو حتى لقاء تفريغي ويرفه قليلاً عن النفس، خاصة أنه في الجوار فلا تتخوف كل منهن على بيتها (كما عبرت أم علي عن خوفها من الابتعاد عن بيتها). وحتى أطفال الحي كانوا يتشاركون الأحداث، فيحمون بعضهم بعضاً ويخافون على أقرانهم وعلى أهالي الحي (كما حدث مع ابن لينا في عدة مواقف، وما شعر به أبناء أبو خالد خاصة في فترة إصابته).

بالتالي نجد هنا أن الاتصال بين أفراد المجتمع بشرائحه المختلفة قد زاد، بل وأكثر من ذلك، فقد وجدت النساء متنفساً للتعبير عن نفسها. وهذا بالتحديد ما استطاعت أم علي إيصاله عندما حدثتني عن نظرتها الإيجابية بسبب شعورها بالتميز وأن هذه الظروف بالتحديد هي التي أعطتها الفرصة رغم قساوتها.

كنوع من الاهتمام الخاص بموضوع النساء الذي لفتني في سلوان، قمت بزيارة النساء اللواتي يلتقين كل يوم ثلاثاء في قاعة خيمة البستان لتلقي دروس الدين هناك، وقد أخبروني بمدى انسجامهم، وعن مجموعة الأنشطة التي قاموا بها خلال الأعوام الماضية التي تشمل على معارض الأشغال اليدوية المختلفة والتي عرضوا لي بعض من صورها. وكذلك قمت بعدها بالتنسيق مع مركز مدى لزيارة المجموعة النسوية التي يعملون معها. وقد كانت المجموعة من نساء منطقة وادي حلوة. وهناك كانت لقاءاتي بهن متكرر المجموعة التفاعل استطعت لاحقاً تكوين علاقة معهن حتى اللحظة. يشمل العمل مع النساء في هذه المجموعة التفاعل مع النشاطات المقدمة لها من خلال مؤسسة أهلية ممولة من جهات أجنبية. وتتكون المجموعة من حوالي 20 امرأة وأكثر، بالإضافة لمعلمة التطريز ومعلمة الخياطة.

هناك بعض النساء اللواتي أود أن أذكرهن، منهن سيدة في اواخر الخمسينيات من العمر، والتي تعتبر نفسها عضواً نشيطاً وفعّالاً في المجتمع، وهي فعلاً

عضو في عدة جمعيات مجتمعية وأهلية، تشارك في المظاهرات والاعتصامات وحركات التضامن مع الأسرى وغيرها...

وهناك سيدة أخرى اعتدت لقاءها تعتبر وجودها في النادي "مكسب" في جميع الظروف، فهو أفضل من البقاء في المنزل مع زوجها المتقاعد الذي أصبح على رأيها "بتدخل حتى بتقشير البطاطا لمّا أطبخ".

كان تشكل التجمعات التضامنية من لجان محلية من أهم التغيرات التي طرأت على منطقة سلوان. فمن التغيرات التي كانت تشكل لجنة الدفاع عن سلوان التي كان أبو خالد وزوج لينا، والسيد فاروق، والسيد محمد وأبو عمر(سابقاً) أعضاء فيها، حيث توجد اليوم خيمة اعتصام دائمة يمكن اعتبارها مقراً لأعضاء اللجنة، ويتم العمل معهم كمتحدثين باسم أهالي المنطقة. ولم تظهر هذه التجمعات فجأة بل كانت بدايتها بتأسيس أول خيمة اعتصام في البستان ولم تسر أمورها بيسر وبساطة؛ فيقول أبو عمر: "احنا عملنا تجمعات تضامن، فكانت أول خيمة تضامنية هون جنب بيتي في 2005" في ذلك الوقت لم تكن البلدية تشدد القيود على الحي، الا انه تم هدم تلك الخيمة في عام 2007 ليتم افتتاح الخيمة الرئيسية الموجودة حالياً كرد فعل. وهناك لجنتان رئيسيتان في المنطقة حسب ما وضح لي السيد فاروق، وهما لجنة الدفاع عن سلوان، وهي لجنة مسؤولة عن كل احياء سلوان، وهي اللجنة الكبيرة التي تعنى بصد الاستيطان وهدم المنازل، وهي ضد

كل نواحي التطبيع مع الاحتلال. وقد تشكلت في عام 1990، وتنتخب انتخاباً من خلال عدة مؤسسات في البلد والأُطر الموجودة فيها والشخصيات الاعتبارية وتتألف من 11 شخصاً، والسيد فاروق واحد منهم. كما أنه عضو ايضاً في لجنة حي البستان المهدد بالهدم، وقد نوه بأن الحي يتكون من 88 وحدة سكنية، وليس 88 بيتاً، فهناك وحدات سكنية تضم اكثر من بيت وفيها حوالي 60 شخصاً.

وقد أسهب السيد محمد في توضيح موضوع اللجان المحلية فأخبرني بأن اللجنة كانت موجودة، ووجدت في 2008 لجنة البستان، اما في 2005 فكانت لجنة الدفاع عن اراضي سلوان. لكن لجنة الدفاع عن اراضي سلوان غير فاعلة لم تساهم في اي شيء، اما لجنة حي البستان فكانت فاعلة جداً، مع تحفظه على فاعليتها في اليوم الحاضر. ولكن مع ذلك يحيي صمودها رغم الظروف الصعبة. وأكمل السيد محمد شارحاً الوضع في حي وادي حلوة، ففي بداية 2008 ونهاية 2007 تم عمل خيمة وادي حلوة، بالتحديد بعد الانهيار الذي حصل في الشارع بسبب الأنفاق.

فإن الأحداث التي سادت سلوان، أدت للتفكير في الهوية الذاتية المستمدة من المجتمع، بالتالي البحث في إمكانية إيجاد حلول سريعة لتركيز نقاط قوة يحتاجها المجتمع. وهو ما وضحه عبد الرحمن (عبد الرحمن، 2010) بأن المجتمع يستمد مؤسساته وممارساته من الدور الذي تلعبه الهوية الاجتماعية التي تتشكل لدى الأفراد.

وفي هذا الصدد أيضاً يوضح السيد محمد: "صارت المواضيع جماعية ومشتركة، وحتى التوجه للمحامي كان بشكل جماعي. وتشكلت لجنة وادي حلوة اللي ما زالت فاعلة لها انجازات كتوقيف مصادرة الاراضي، وتوقيف الحفر في عدة مناطق. ولما صارت خيمة البستان بعد 10 اشهر تقريباً، صار في اولويات في البلد، فقررت لجنة وادي حلوة تعليق نشاطات خيمتها حتى لا يتشتت النضال، فالنضال مشترك والاولوية وقتها كانت للبستان. فخيمة وادي حلوة كانت بالأساس للأنفاق، ووقتها توقف حفر الانفاق ولم يتوقف موضوع البستان".

وقد نتج ذلك باعتقادي نتيجة انتمائهم وحرصهم على المنطقة وهو يشبه ما عبرت عنه الباحثة (Dugas,1997) بمصطلح "ثقافة المجموعة"، فإنها تعتقد بأن دراسة الشعور بالانتماء إلى المجتمع في المدن مهم وحاسم، وأن قادة المجموعة يساعدون في تنظيم وبناء الحس المجتمعي، وتوفير شبكات الدعم. (Dugas,1997). وإن إيجاد أفرد محليين لتولي السلطة المحلية الداخلية يشكل جانباً إيجابياً نحو بناء مجتمعي جاد وإيجابي نحو التغيير، حيث يتم من بعدها تحديد أهمية تطوير المسؤولية اضافة الى القوة، بتحديد الشكل العام، لتعزيز كفاءات المجتمعات المحلية والمسؤولين الحكوميين (Managhan, 2012).

ومن الجدير ذكره وجود بعض المؤسسات المجتمعية المحلية، ومنها مركز مدى في وادي حلوة الذي توجهت له أنا شخصياً لغرض التنسيق للزيارات. وهو

مركز إبداعي لأهالي سلوان وللأطفال بالتحديد. حيث يشمل على عدة فعاليات ثقافية واجتماعية، وهو معروف على مستوى المنطقة.

كما يوجد أيضاً مركز معلومات وادي حلوة، والذي يتولى مهمة اصدار التقارير والأخبار وتوثيقها من خلال موقعه عبر الإنترنت. كما ويعمل على بعض الأفلام القصيرة التي توثق الأحداث، والتي يستخدم جزءاً منها في نطاق عمله في الجولات السياحية البسيطة التي يقومون بها كنوع من الرد على وجود السياح القادمين "لمدينة داوود"، ويتولى المركز مهمة تعريف هؤلاء الناس بالواقع الفلسطيني حسب الرواية الفلسطينية، لا بالرجوع لتلك التي يرويها المرشدون الإسرائيليون. وقد طلبت أن أشارك في واحدة من تلك الجولات، وقد تعجبت أنا شخصياً من كم المعلومات والحقائق الصادرة عن مرشد المركز. وقد لاحظت التعاطف الكبير من المجموعة السياسية، التي كانت إسبانية، وإبدائهم للملاحظات والأسئلة المختلفة.

الجانب السلبي

- التجمعات النسائية التي برزت لم تكن على نطاق شامل للمنطقة.
- الدعم الاجتماعي الموجود هو على نطاق ضيق من التماسك العائلي الداخلي، ومن الممكن أن يشكل عبئاً إضافياً على الأفراد.
- شهدت سلوان بعض المشاكل الدامية بين عائلات من سكانها.
- العضوية في اللجان المحلية كان "تهمة" يحاسب عليها الفلسطيني.

التجمعات النسائية التي برزت لم تكن على نطاق شامل للمنطقة. فعند سؤالي لأم عمر عن مشاركتها بالتجمعات النسائية أجابت: "احياناً، لو قالوا في اجتماع بنروح، لكن في تكرار، فالندوات تكون فقط في نطاق منطقة معينة، وما بتوصل الدعوة دائماً." وقد وجدت أم حسين أن مبرر ذلك كان الانشغال الدائم، فعدم الالتزام جعل اللقاءات بلا فائدة. فتقول ام حسين: "كان حلو، بس ما لقينا نتيجة. كل وحده همها على قدها".

ومن الممكن أن مثل هذه الأمور تحصل، وهي عادية طالما بقيت في نطاق منطقي، بعيداً عن مشكلة خاصة. لكن باعتقادي هناك جانب من اللوم على النساء انفسهم؛ فقد أشرفت بنفسي على بعض اللقاءات التي كانت تحدث، ووجدت أن الدعوات للقاءات يتم ارسالها للنساء، لكن تقصيرهن يكمن في عدم اهتمامهن لتلبية مثل تلك الدعوات.

الدعم الاجتماعي الموجود هو على نطاق ضيق من التماسك العائلي الداخلي، ومن الممكن أن يشكل عبئاً إضافياً على الأفراد. وقد وجدت ام حسين الأكثر حدة بهذا الاتجاه، فقد كانت المقابلة التي أجريتها أثناء اعتقال زوجها، وهو من أنشط رجال الحي على مستوى النشاط الوطني المجتمعي، فقد قالت: "يعني أنا اليوم زوجي مش معي، وما حد بسأل عن أحوالي... ممكن بسألوا ولادي..

الدعم من العيلة نفسها ممكن، أما باقي الناس فما بقدموا الدعم المعنوي، بالعكس بواسوني بكلمات مزعجة، بقولولي يا حرام، مسكينة.. كأنّو بستنا عطفهم بس!".

وهي أيضاً كما وضحت سابقاً تعاني الاعتقالات المستمرة لأبنائها الثلاثة، وقد تلقت أيضاً بعض التعليقات حول الموضوع، فهي تقول في هذا الصدد: "الناس صارت تقوللي خلص، بكفي تخلي ولادك يطبشوا. ليش ولادك بوجه المدفع، بيعطوكم مصاري لضرب الحجار؟"...وأكملت: "كأنو الواحد بستنا مصاري.. مين بهونله بإبنه!"

لكن معاناتها مع الاعتقال لم تتوقف عند حد أولادها وزوجها، بل إن لدى أم حسين عدداً من أبناء الإخوة المعتقلين، فتقول: "وراك وراك، من جهة ولادي، ومن جهة أهلي. بطلب منهم ما حدّ يشكيلي همّه، فيّ اللي يكفيني."

ولم أجد دراسة خاصة توضح هذا السياق، لكنني وبالرجوع لوقت مقابلة أم حسين، والتي كان استياؤها واضحاً بالنسبة لهذا الجانب؛ فيمكن أن أعزو ذلك للفترة العصيبة التي كانت تمر بها وقت المقابلة على وجه الخصوص. فقد كان زوجها معتقلاً، وفي أثناء اعتقال زوجها تم اعتقال ابنها الأصغر. وقد شعرت ام حسين بالعجز وقت اعتقال ابنها الصغير، فالأب بالسجن، والابن الأوسط الذي يسكن معها، عليه شروط من المحكمة اقتضت بأن لا يكون بيده حيلة. فكانت الأم بين نارين، لا تعرف ما تفعله حين هبت أعداد كبيرة من الجيش إلى بيتها في الساعة الخامسة صباحاً دون سابق إنذار. كما لم يمض على ابنها الأكبر كثير

من الوقت خارج المعتقل. بالإضافة لحالات اعتقال وقضايا معقدة كانت موجودة لدى أفراد من عائلتها واخوتها.

شهدت سلوان بعض المشاكل الدامية بين عائلات من سكانها.

قبل نحو ثلاث سنوات كانت هناك مشكلة دامية بين ثلاث عائلات في سلوان وتطورت من كونها مشكلة بسيطة جداً لتصبح حكاية على لسان كل السكان. وقد أخبرتني لينا أن هذه المشكلة أثرت على علاقة الرجال بعضهم بعضاً، وكذلك على بعض النساء اللاتي لم يسمح لهن أزواجهن بالتواصل مع نساء العائلات الأخرى بسبب المشكلة. وهي تعتقد أن الضغط الذي تواجهه عائلات سلوان له أثر كبير في خلق المشكلة التي حدثت "الكل بيتفشش" تقول لينا.

وإن التعرض للضغوطات قد يؤدي باعتقادي لمثل هذه المشكلات، لكنها قد كانت عابرة حسب استفساري عنها وما سمعته من بعض الناس. أي أنها كانت فترة مشاحنات مؤقتة لم تستمر لفترة طويلة.

أما السيد محمد فيؤمن بأن للمستوطنين والجهة الإسرائيلية يد في المشكلات التي تحصل، كونه يعمل في المجال المجتمعي، فقد واجه مشكلات عديدة من خلال طبيعة عملة التي تجعله باحتكاك دائم مع الناس.

ويقول السيد محمد في ذلك: "العمل في هذا المجال صعب جدا جدا. والعامل اللي بيلعب دور كبير كمان هم المستوطنين اللي عم بنشروا اشاعات عن طريق

جيشهم من [الطابور الخامس]، ودس الاشاعات المتعلقة بالنشطاء السياسيين، من الاخلاقية والخاصة جداً. كما حصل معي"...(لن يتم ذكر القصة للخصوصية).

ويكمل السيد محمد: "وحتى الطوش اللي بتصير اسرائيل بتدعمها وما بتحاول صدها، وبالعكس بأججوا الصراع... واسرائيل بَنَت اليوم جيش من العملاء والسماسرة والخربانيين واستثمرت فيهم لتعكير صفوة السكان. ورغم هيك لسا كتير تغير الوضع، ولو صار مشكلة على السريع بنحاول حلها. في تواصل احسن من قبل، حتى في الافراح والاتراح دائماً في تواصل رغم انو لسا في تقصير".

فإسرائيل تتبع اليوم سياسة التفريق بين الناس، وهي سياسة ناجحة لخلق المشكلات ودس الفتنة لتشتيت المجتمع عن التركيز في هدفة الأساسي في الحفاظ على أرضه ومواجهة الند الإسرائيلي، ليكون الند هو فرد من أفراد مجتمعه. وهذا ما تعمل بعض المؤسسات المحلية على توعية الناس عليه، ولأكون أكثر واقعية، فقد وجدت بأن الأكثر تأثيراً في هذا الجانب بالتحديد هم وجهاء المجتمع وكباره من المصلحين الاجتماعيين على الأغلب، لما يمنحهم المجتمع من صلاحيات.

وتؤثر التركيبة السكانية والتاريخ المشترك بين السكان على العلاقات في المجتمع المحلي. فسلوان حسب ما وجدت، ومن خلال سؤالي للسيد محمد، فهي تتشكل من تركيبة سكانية مختلفة ومتنوعة. فيها من السكان الأصليين، ومن اللاجئين،

ومن أبناء المدن المجاورة. وهناك فرق في مستوى الانتماء للأرض، لكن هذا الفرق لم يبد واضحاً، فهناك من العائلات غير السلوانية التي اضطرت لأن تكون تحت ظروف غاية في الصعوبة، وكان بإمكانها الرحيل، لكنهم أثبتوا قدرتهم على الجلد والصمود.

يقول أبو عمر: " أنا مش من سلوان، بس إمي إنولدت هون، وأنا أنولدت هون، وولادي اليوم ما بقبلوا يطلعوا من سلوان".

فمن الممكن أن ثمة توترات سابقة كانت في سلوان بين السكان الأصليين، والساكنين لها من خارج سلوان. لكن ومع المدة تلاشت هذه التوترات لوجود نمط حياة مشترك كما هو الحال في مخيم الأمعري. (أبو دحو وآخرون، 2010). وأعتقد أن الأزمة التي يمرون بها اليوم قد ساعدت على تخطيهم مثل هذه الأزمات. فحتى المشكلة العائلية بين عائلة سلوانية وعائلية من الخليل تسكن سلوان، والتي أخبرني عنها أبو خالد، نجد أنها تتلاشى ويتم نسيانها حالما وجد أفراد المجتمع أنفسهم في مواجهة الإسرائيليين؛ فقد حمل أحد أفراد العائلتين المتشاحنتين شخصاً آخر من العائلة الأُخرى يوم إصابته بعد أحداث حصلت عقب صلاة الجمعة، وقد ركض فيه مسرعاً ليسعفه، متناسياً مشكلات لم تعد مهمة أمام مشكلة أكبر، وعدو مشترك.

أما بالنسبة لي فأضيف على ما ذكر بتفسير ما يحدث من مشكلات بناء على نظرية الاضطهاد المجتمعي، يتمحور نسيج الاضطهاد المجتمعي حول ثلاثة

مستويات تتفاعل مع بعضها البعض، وهي: المستوى الفردي، والمستوى المؤسساتي، والمستوى الثقافي الاجتماعي (Hardiman & Jachson,1997). والعلاقة بيت هذه المستويات الثلاث وعلاقتها ببعضها البعض يمكن تفسيره بطريقتين من التفاعل، هي: التفاعل الرأسي (العمودي)، والتفاعل العرضي (الأفقي).

ويعبر التفاعل الرأسي عن التجريد من الإنسانية، وحالة الوعي واللاوعي، والحرمان من حق العامل من قبل المُشغل، وتواطؤ هذا العامل مع الاضطهاد المجتمعي. حيث يكون التفاعل بين الناس بطريقة هرمية (فريري، 2002).

أما التفاعل الأفقي، فهو يمثل تفاعل الناس فيما بينهم من نفس الشريحة الاجتماعية، وهم على الأقل تقريباً متساويين على بعد واحد من الهوية الاجتماعية. وفي هذا المجال يمكن أن نجد انعكاس ظاهرة الاضطهاد بين الناس من نفس الفئة على بعضهم البعض، كونهم لا يملكون القوة الكافية لتفريغ كبتهم على مضطهِدهم من الفئة الأعلى(Hardiman & Jachson,1997).

وهذا بالتحديد ما يمكن تفسيره فيما يتعلق بالمشكلات الداخلية داخل منطقة سلوان، فإسرائيل تضغط وبشكل كبير على أفراد المجتمع الغير قادرين على الرد بسبب عدم توازن القوى فيما بين الطرفين، بالتالي يظهر نوع لآخر من العنف يكون الند فيه فرد من أفراد المجتمع السلواني نفسه؛ فتظهر مشاكل العنف الأسري والمشكلات العائلية والمخدرات.

العضوية في اللجان المحلية كان "تهمة" يحاسب عليها الفلسطيني. فيذكر أبو خالد وبصفته عضواً من أعضاء لجنة الحماية والدفاع عن سلوان، أنه قد تم تهديده بالإبعاد كما غيره من أعضاء اللجنة. وقد وضح أنه كما غيره من الأعضاء وحتى من أهالي سلوان مراقبون بكل تحركاتهم، حتى أن خطبة المسجد تكون مراقبة ومترجمة، ويتم اعتقال كل من يحاول أن يشجع على المقاومة.

وقد اشتكت بعض النساء في العائلات من تبعات ما يحصل لأزواجهن جراء عضويتهن في اللجان وما يتبع ذلك من ضغوطات على الأعضاء، تؤثر على حياتهم الخاصة، فقد أشادت لينا بدعم زوجها لها، إلا أنها لم تتكر أن توتر الأجواء العامة يزيد من توتر الأجواء بينهما.

ومن أمثلة الصعوبات التي تتبع النشاط السياسي للأفراد ما تعانيه ام حسين باستمرار اعتقال جميع أفراد أسرتها. وفي سياق حديثها عن آخر اعتقال لأصغر أبنائها: "المرة الأخيرة كانت صعبة؛ أبوه مش موجود ليدافع عنه ويحمي ابنه زي ما كان يعمل مع باقي ولاده. (والابن الأوسط) اللي بسكن معنا، عليه شروط من المحكمة مش قادر يعمل إشي".

فهناك ثمن لا بد من أن يدفعه الناشط الفلسطيني، والذي يمتد ليصل أفراد أسرته الذين يعانون معه. وهناك من الأمثلة من التجربة الفلسطينية في النضال والمقاومة العديد من الأمثلة المشابهة.

المحور الثاني: دور العامل الاقتصادي

شئنا أم أبينا، فالعامل الاقتصادي يؤثر في مجرى الحياة وفي نفسية الأفراد. وفي ظل ظروف استثنائية يعيشها أهالي سلوان، فلا بد من التطرق للسؤال عن تأثير العامل الاقتصادي على الجلد الجماعي لدى المبحوثين.

- لم يُبد أي من أفراد المجموعة أي اتجاه ايجابي نحو الوضع الاقتصادي الذي يعيشونه.
- يتم رصد مبالغ كأقساط دورية شهرية كبيرة لتسديد مخالفات المنازل والضرائب المفروضة.
- تكاليف باهظة كأتعاب للمحامين والمهندسين.

إن التوزيع الاقتصادي والسياسة المالية وكيفية حصولها، هي مجالات رئيسية تؤثر وتتأثر بكيفية تفكير الناس، وبشعورهم (Friedli, 2009) . وإن الأخذ بعين الاعتبار الوضع الاقتصادي فقط بغض النظر عن البيئة الاجتماعية يعتبر فشلاً (Managhan, 2012) ، فالعامل الاقتصادي من العوامل التي تم التطرق إليها كأحد العوامل التي تضعف جلد الناس.

لم يُبد أي من أفراد المجموعة التي قمت بمقابلتها أي اتجاه إيجابي نحو الوضع الاقتصادي الذي يعيشونه، وهو أمر متوقع في ظل أزمة اقتصادية يعيشها المقدسيون بالعموم جراء ارتفاع تكاليف الحياة. حيث يتم رصد مبالغ كأقساط

دورية شهرية كبيرة لتسديد مخالفات المنازل والضرائب المفروضة. حسب ما وضح أفراد العينة أن الغرامات والمخالفات وحتى الضرائب المفروضة عليهم قد أنهكتهم بشكل كبير وأثرت على مستواهم المعيشي بشكل واضح. ومن الجدير ذكره أنني أعني بالغرامات المالية والمخالفات كل مبلغ مالي يفرضه الاحتلال على الفلسطيني مقابل أي عمل يقوم أو لا يقوم به الفرد الفلسطيني فيما يخص وجوده في بلده، وأعني أن إسرائيل عادة ما تبتكر قوانين مقابل أشياء تفرضها على الفلسطينيين.

وإن ما يدفعه السكان من غرامات يتعدى بالحقيقة حدود المنطق، فحسب ما ورد في تقرير (OCHA, 2009) فإن سكان الحي قد تكلفوا بما مقداره 77000$ لإصدار مخطط للمنطقة، والذي لم يفدهم أو حتى يمنع عنهم التهديد بهدم بيوتهم.

وحتى اللحظة، يقوم الأهالي بدفع أي غرامة مالية تُفرض على بيوتهم، على الرغم من شعور البعض باستحالة تراجع إسرائيل عن قراراتها، لكنهم يجبرون على ذلك بهدف تأجيل القرار(فسحة الأمل الوحيدة لديهم). كما وإن ما لاحظته أن البلدية الإسرائيلية تقوم بتجديد المخالفات حال الانتهاء من دفعها كما حصل مع أبي خالد الذي لم يتم الشهرين على انتهاءه من دفع الغرامات الأولى التي وصلت قيمتها 72000 شيكل، حتى واجه إخطار وغرامات جديدة.

عندما كان يحدثني أبو عمر عن قيمة المخالفات التي كان يدفعها والتي وصلت بالإجمال لحوالي 80000 شيكل قال: "يعني قسط شهري كأنه اجار"، لكنه

مضطر للدفع لعدة أسباب، وضحها بقوله: "من ناحية شرعية لا يُقبل انو اطلع من القدس فأنا مرابط فيها، وشوفي، الامور دينياً، ومن ناحية اخرى فش بديل، احنا اهل البستان اليوم حوالي 1600 فرد، وصدقاً لا نملك المال لشراء بيت، وحتى لو معنا، فالقدس مكتظة وصعب ايجاد البيوت فيها".

فلا يمكن أن ننكر أهمية الحالة المادية، والضغوطات التي يعيشها رب الأسرة لتحمل أعباء الأقساط ومتطلبات الحياة له ولعائلته. لكن المُحبط بالنسبة للعائلات التي قمت بمقابلتها كان التجديد المستمر؛ فمثلاً أخبرني أبو خالد بقصته مع بداية دفع الغرامات التي فُرضت عليه كمخالفة بناء، فقد طُلب منه دفع مبلغ 4000$ حتى يتم تعديل قرار الهدم وتأجيله بشرط دفع غرامات مالية بقيمة 72.000 شيكل يتم دفعها بأقساط بقيمة 1000 شيكل لكل شهر. وفي كانون أول 2009 تم دفع آخر قسط من المخالفة. يقول أبو خالد "حسيت همّ وانزاح". لكن أبو خالد لم ينتهِ فعلياً من ذلك الهمّ، فبعد مرور شهرين وبتاريخ 8\2\2010 تحديداً تفاجأ أبو خالد بابنته تركض إليه حاملة ورقة من شخص مجهول جاء على الدراجة النارية وأخبرها بأن تسلّم الورقة لوالدها... قرأ أبو خالد المكتوب وإذ به طلب استدعاء من البلدية باسم زوجته كونها صاحبة البيت. وبعد مراجعة البلدية، وبحجة عدم وجود مخطط جديد ورخصة جديدة له، طالبوا بحكم زوجته بالسجن خمسة أيام لعدم التزامها بالشروط، بالإضافة لدفع غرامة جديدة... وبالتفاوض مع البلدية بحضور محامٍ أبو خالد تم تخفيف الحكم حتى أصبح بعدم حبس الزوجة شرط

دفع 15.000 شيكل نقداً، و40.000 شيكل إذا لم يتم إصدار رخصة ومخطط جديد خلال السنتين القادمتين – وهو أمر مستحيل أن تُعطى الرخصة للبناء على أرض أبو خالد– لكنه يعتبر المسألة مسألة تأجيل فقط وهذا أقصى ما يستطيع أن يفعله الآن. وأضافت زوجته معقبة على الموضوع: "بضل أدفع دفعات طول العمر.. بس أعرف انهم ما يهدّوا"... فتبقى فسحة ضئيلة من الأمل، يتشبث فيها الفرد، وإن كانوا مجبرين عن البحث عنها ليستمروا بحياتهم.

كذلك وفي نفس السياق، تقوم عائلة لينا بدفع حوالي 2000 شيكل كل شهر كمبلغ للمخالفة والذي بدوره يمكنهم من تأجيل قرار الهدم لفترة زمنية غير معروفة لكنه لا يُلغي القرار إلا بصدور رخصة جديدة للبيت، وهو أمر "شبه مستحيل" كما قالت في حي البستان خاصة.

فالعائلات تعاني من ضغوطات مرهونة بفترات زمنية تقيدهم وتلزمهم بالدفع فكان قد تم تهديد أم علي بالسجن في حال التخلف عن دفع المخالفة كون البيت مسجّل باسمها. وهم يحاولون اليوم دفع المبالغ لكنهم لا يستطيعون تسديد كامل المبلغ في كل مرة، وفي آخر جلسة للمحكمة أعطيت العائلة مدة محددة لدفع التكاليف كاملة وإلا سيتم الهدم بدون سابق إنذار، مع التغريم بكافة تكاليف الهدم.

أما بالنسبة للضرائب، فقد ذكر جميع أفر العينة دون استثناء موضوع ضريبة المسقفات أو ما تسمى "بالأرنونا" أو "ضريبة المسقفات" وهي حسب تعريف بلدية القدس " هي ضريبة قانونية (أوامر البلديات) تفرض على كل مستعمل للعقارات

الغيـــر منقولـــة (مبـــاني، منـــازل، أراضـــي ومـــا شـــابه ذلـــك)" (Jerusalem Municipality, 2013).

فيقول أبو عمر في هذا الصدد: "وأنا لسّـا بـدفع أرنونـا لبيتـي بمسـاحته 87 متـراً وتبلغ 4400 شيكل" .

فقيمة الدفع لهذه الضريبة تكون حسب مسـاحة البيـت وتصـنيف المنطقـة لإمـدادها بالخدمات. وعادة ما تكون المبالغ المطلوبـة سـنوياً عاليـة جـداً، وكمقدسـية أعـيش مثل هذه الظروف، أستطيع أن أقدر أهمية دفـع مسـتحقات ضـريبة الأرنونـا، لـيس فقط كون المبلغ يتضاعف أضعافاً كثيرة في حـال التخلـف عـن الـدفع، بـل أيضـاً كونها تثبت أنني مواطنة شرعية سـاكنة للقـدس، وهـي وثيقـة مطلوبـة فـي كـل المعاملات المتعلقة بالإقامة.

يدافع السيد فاروق عـن قانونيـة بيتـه بحجـة مـا يدفعـه مـن ضـرائب فرضـتها "إسرائيل" للضريبة المسـماة "ضـريبة المسـقفات– الارنونـا"، ويسـتنكر اعتبـارهم لمنزله غير قانوني فلا يمكن اخذ الاموال على ما يعتبرونـه غيـر قـانوني. برأيـه، يعتقد السيد فاروق بان الشيء الوحيد الـذي أخـرّ هـدم حـي البسـتان كـاملاً حتـى يومنا هذا هو صمود مجتمعه كسـبب رئيسـي، بالإضـافة لأسـباب أخـرى تأخـذها إسرائيل بعين الاعتبار، فالموضوع كله متعلق بالخسارة والـربح. فبرأيـه واحـد مـن الاسباب هو ما يمكن ان يتبع هدم حي كامل مـن اضـطرابات واحتجاجـات، بالتـالي لا يستعجلون، "عندهم نفس طويل" حسب تعبيره. بالإضـافة لسـبب مهـم اخـر، فقـد

اصبح اليوم اعتماد البلدية المادي على المخالفات ملفتً، فالبلدية الاسرائيلية والحكومة مستفيدة من الربح المادي في تأجيل الهدم ، فحسب معلوماته من 2012/1/1 الى 2012/12/31 وصل البلغ الاجمالي لإيرادات مخالفات الهدم 36780000 شيكل في سنة واحدة من اهل القدس. فقال: "احنا بندفع وهما بيشترو الجرافات ليهدولنا".

وقد أشارت عينة (Gray, 2011) أهمية وضرورة تقديم الدعم المالي. ويعود ذلك لارتفاع تكاليف أتعاب المحامين والكفالات المالية والمواصلات وغيرها من الغرامات. وقد كان هذا واضحاً جداً لدى الجميع، فما انفكوا عن ذكر تكاليف المحامين والمهندسين.

ومن ذلك كما قالته ندى: "بس أنا قبل ما وصلت للتحقيق كنت قد استعنت بمحامٍ كلفني 50.000 شيكل حتى يُخرجني من قضيتي التي كان من الممكن أن تصل "عقوبتها" لعام كامل، وكان يجب أن أبقى تلك الليلة بكاملها هناك لولا أن زوجي اضطر لدفع 3000 شيكل كشرط للخروج على أنو أرجع في اليوم التالي حيث قضيت 5 ساعات اضافية".

وأصبحت التكاليف الإضافية التي يدفعها أهالي سلوان تكلف مبالغ هائلة، وغير منقطعة. فلا بد من أن كل فرد قد صادف نوعاً من أنواع المشكلات التي تحتاج للدفع، سواء بالمخالفات أو تبعاتها من أتعاب محامين ومهندسين، أو حتى

للكفالات المادية المتعلقة بشروط الافراج عنهم أو عن معارفهم. وقد أضاف السيد محمد أن هذا الموضوع قد شكل مشكلة جديدة لدى بعض السكان، فيقول:

السيد محمد: "لسا في ناس تؤمن بالطرق القصيرة، أو بعتقدو انها طرق قصيرة، واخر اشي بتورطوا. وهذا السبب الاساسي الها الماديات. فالمحامي اليوم مابفتح قضية الا بمبلغ كبير، وهذا جعل في تجاذب بين السكان والبلدية والعمل"الطابور الخامس" عن طريق رشاوي وغيرها، والتي لا تؤدي الى نتيجة. فمجرد تأجيل الهدم لا يعني الغاء الهدم".

وقد كنت أسأل المبحوثين في عادة عن أسماء بعض المؤسسات المتخصصة بالدعم من الجانب القانوني في منطقة القدس علها تقدم المساعدة حسب هدف وجودها. وأعتقد أن هناك فجوة ما بما أن أسماء تلك المؤسسات لم تكن معروفة لديهم حتى، أو أنهم توجهوا لها للمساعدة، لكنها بحاجة لمتابعة طويلة باستمرار مما يؤدي للشعور بالإحباط.

المحور الثالث: نظام المعتقدات

لقد أبدت عينة الدراسة الاستطلاعية التي قمت بها اهتماما كبيراً بموضوع الدين ونظام المعتقدات، لذلك كنت أسأل العائلات التي قابلتها عن مدى تأثير العامل الديني في حياتهم وجلدهم.

- لم يُبد أي من أفراد المجموعة أي اتجاه سلبي نحو دور عامل نظام المعتقدات الدينية في إضعاف جَلدهم.
- الشعور بأن الله هو الأقدر على حل المشكلات العصيبة.
- ربط العامل السياسي ضمنياً بالعامل الديني، فشعورهم بأنهم "أهل الرباط" يقوي عزيمتهم على البقاء.
- ممارسة العادات والممارسات الدينية يحافظ علة التوافق النفسي الاجتماعي للفرد.

لقد كان نظام المعتقدات (الدين) أحد المحاور الرئيسية الذي ساعد أفراد العينة على تحمل الأزمة والتعاطي معها بشكل إيجابي قدر المستطاع، ولم يُبد أي من أفراد المجموعة أي اتجاه سلبي نحو دور عامل نظام المعتقدات الدينية في إضعاف جَلدهم. فيعد الدين مصدراً من مصادر القوة والإحساس بالهدف للأفراد والمجموعات، وطريقة ناجحة لمعالجة الضغوط وقت الأزمات والكوارث الطبيعية (Ride and Bretherlon, 2011)

وبالرجوع لقضية الجَلد والعامل الديني، فهناك بعض الدراسات التي أكدت على وجود علاقة بيت هذين المتغيرين ، فإن هناك دور مهم للقيم الروحية في تعزيز الجَلَد الجماعي تعميق فهمنا لتكييف الإنسان وقت الصدمات (Moreira & Others, 2007).

لقد برز شعور عام بأن الله هو الأقدر على حل المشكلات العصيبة. حيث نوهت العينة بأن الدين يمثل أحد أهم مصادر الدعم بالنسبة لها، ويساعد على تجاوز الأزمة والتعايش معها، من خلال الإيمان بالقضاء والقدر. فكان ايمانهم بقضاء الله وقدره، خاصة على نطاق الدين الإسلامي الذي يشجع الإنسان المسلم على الصبر عند حدوث المصائب، والإيمان بقضاء الله وقدره، وإن ذلك عمل على مساعدتهم للتعايش مع الأزمة.

فأبو عمر وعند تلقيه خبر اخطار بهدم منزله قال: "صرت أفكر يومياً بحالة لو تم الهدم، لوين آخذ الاولاد، ووين نعيش.. وفي نهاية الامر وكلنا ربنا، ولكل حادث حديث".

كذلك، تعتبر أم علي بأن الله تعالى سوف يسألها في يوم القيامة عن تأمين الحياة الكريمة لأولادها، والإبقاء على البيت وهو المسكن من الأساسيات للحياة الكريمة.

فعندما يقف الشخص عاجزاً عن التفكير يلجأ لما هو أسهل على إدراكه وما هو "مسلّم به" كالدين والمعتقدات الدينية. وأعتقد أن ذلك ليس بالغريب، بل يساعد على إيجاد توافق نفسي بالرجوع لما يرتكز عليه من معتقدات، بالتالي يمكن اعتباره معززاً باتجاه الجلد.

كما قال السيد فاروق في سياق حديثه عن يوم التحقيق مع زوجته: "طول الطريق بحاول اشجعها بعبارات خالية من المضمون". وقد كانت مشاعري جياشه في

وقتها حتى ان دموعي قد سالت. شعوري لا يوصف، "ولولا إيماني بالإرادة الإلهية وبأنني صاحب الحق لكنت انهرت".

فالدين مصدر قوة واحساس بالهدف للأفراد والمجموعات، فيتطلع الناس لحكمة الخالق وقوته(Ride and Bretherlon, 2011). وأعتقد أن الطبيعة البشرية تحتاج لأن تُرجع بعض الأمور "الصعبة" عليها لما تعتقده.

ربط العامل السياسي ضمنياً بالعامل الديني، فشعورهم بأنهم "أهل الرباط" يقوي عزيمتهم على البقاء.

فكان الرد الأول لدى أغلب العائلات في العينة، وكان التركيز عليه وعلى العامل السياسي الذي يربطونه ضمنياً بالعامل الديني هو الأساس، حتى أنني أكاد أن أجزم أنه السبب الرئيسي لصمود بعض منهم. ومن ذلك بعض الأمثلة على مقتبسات لأفراد العينة:

أم حسين: "ربنا وعدنا اللي بصبر إله الثواب الكبير في ميزان حسناته".

لينا: "ربنا اختارنا نكون هون، احنا مرابطين والنا أجر بتربية أولادنا وتعليمهم الصمود".

كذلك أخبرني ابو خالد بأن العامل الديني هو الأساسي، وأن العامل الديني بطبيعة الحال مرتبط بالسياسي، فالله أمرنا بحماية أرضنا وصونها، وهو سيرابط بإذن الله في سلوان.

وأكدت ام علي على أن أهل فلسطين من المرابطين واستشهدت بأن الله قال بالمرابطين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ وتقول: "يكفينا شرف أن نكون مرابطين في بيت المقدس، وأجر المرابط ليوم القيامة.. الحمد لله". وأضافت هنا بأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قد عانى الكثير في سبيل نشر الإسلام، وأنهم اليوم سيقاومون من أجل الأقصى، وهذه التضحية والمعاناة لا تقارن بمأساة الرسول –صلى الله عليه وسلم– . وأن أكثر ما يهمها بالدرجة الأولى المسجد الأقصى، حتى أنه أهم من بيوت الحارة جميعاً.

وحتى أن السيد فاروق نفسه قال في سياق نفس الموضوع: "احنا بنعتبر حالنا مرابطين، هاي الارض جزء من عقيدتنا، لذلك وجودنا في محيط المسجد الاقصى بجعله ارتباط ديني عقائدي مع هاي البلد، وهذا بيجعل ارتباطنا فيها بشكل مختلف"

أما بالنسبة للسيد محمد فيعتبر أن ما يحدث هو بالأساس ربط الصراع السياسي القائم بالدين، ولا علاقة له بتدين الفرد. فيقول: "حتى لو الواحد مش متدين، لكن المعظم يؤمن انه الصراع صراع ديني".

هنا أجد عند المقارنة بالجانب الآخر أن نفس العامل الديني –كما يدّعي– هو الذي يدفع بالإسرائيلي اليهودي لمحاولة السيطرة على سلوان. حيث يتم تبرير

شـــرعية مدينـــة داوود فـــي الكتـــاب المقـــدس لليهـــود (Al-Za'tari & Molony, 2010) .

وأعتقد أن استخدام المبرر الـــديني لليهـــود فـــي احـــتلال الأرض قـــد زاد مـــن حـــدة موضوع المقارنة بالجانب الآخـــر مـــن العقيـــدة الإســـلامية، فهـــي أيضـــاً باعتقـــادهم تلزمهم بالصمود في "أرض الرباط لينالوا الأجر".

ممارسة العادات والممارســـات الدينيـــة يحـــافظ علـــى التوافـــق النفســـي الاجتمـــاعي للفرد. وقد كانت النساء على الأغلب في العائلات التـــي قمـــت بمقابلتهـــا قـــد عبـــرن عن تقربهن بشكل أكبر من الـــدين، وازديـــاد علاقـــتهن بـــالله مـــن خـــلال الصـــلاة والصوم وقراءة القرآن بشكل أكبـــر مـــن ذي قبـــل. وهـــذا مـــا ذكـــره (Ride and Bretherlon, 2011) بالمقارنة مع العوامـــل التـــي تزيـــد مـــن الجلـــد فـــي ســـياق الكوارث الطبيعية، فقد قال الناس المحليـــين فـــي المنـــاطق المختلفـــة بـــأن الكنـــائس والمساجد كانت ممتلئة، تعج بالناس بعد الكارثة، حيث تطلـــع النـــاس لحكمـــة الخـــالق وقوته. وكان الدين أيضاً كمصدر قوة واحساس بالهدف للأفراد والمجموعات.

فعند السؤال عن كيفية تعـــاملهم مـــع الظـــروف الضـــاغطة كانـــت الإجابـــات تكـــون كالتالي:

أم عمر: "انا بذكر الله والصلاة"

وهو أمر موجود، فتزيد نسبة التدين وممارسة العادات الدينية عند الأزمات. فعادة وبعد حصول كارثة ما، تكون الكنائس والمساجد ممتلئة، تعج بالناس، حيث يتطلع الناس لحكمة الخالق وقوته (Ride and Bretherlon, 2011) .

أما أم حسين فأجابت بطريقة لم تقنعني بصدق الإجابة: "ربنا وعدنا اللي بصبر إلو الثواب الكبير في ميزان حسناته". فسألتها بجدية إن كان فعلاُ يمكن أن يكون هذا الكلام داعماً لها ويدعمها، فأصرت وقالت: آه طبعاً، أكيد، بشكي لحد بسمعني.. والصلاة راحة نفسية". وقد كانت ندى أكثر وضوحاً فيما يتعلق بإجابتها واعتبرت بأن الصلاة "جيدة" لكنها للعبادة أكثر منها للتفريغ النفسي برأيها.

المحور الرابع: دور المؤسسات والإعلام

هذا المحور هو لمحة كان لا بد لي من الإشارة لها في البحث، لكن الحديث فيه يطول؛ فالمؤسسات الدولية والمحلية قد برزت بشكل ملفت في سلوان، وقد أرفقت الإعلام باعتباره مؤسسة كغيره من المؤسسات، مع وجود جدل ونقاش حول مصادر التمويل وغيرها التي لست بصدد تفسيرها، إنما أسعى للتركيز على دورها في التأثير على الجلد الجماعي للسكان.

الجانب الايجابي

- تعمل المؤسسات المحلية على نشر التوعية بين الناس.
- بعض المؤسسات الدولية ساهمت في الدعم المادي، وعملت على توثيق بعض الأحداث.
- يساهم الإعلام بنشر قضية سلوان بشكل أساسي.

يتم التغيير باتجاه بناء جلد مجتمعي عن طريق وضع هدف مشترك، والذي يمكن ان يوحّد الناس بكل طوائفها واهتماماتها الاجتماعية والسياسية المختلفة، ذلك من خلال مجموعة واسعة من القيم، والتي تتضمن المسؤولية المدنية والمساواة والتوافق النفسي الاجتماعي. (Managhan, 2012) وقد وجدت العينة أن وجود المؤسسات المحلية والدولية قد لعبت دوراً إيجابياً في عدة جوانب. ولخصت ام حسين إيجابيات وجود المؤسسات بجملة قالتها: "إيد لوحدها ما بتزقف"؛ فهي تعتبر وجود المؤسسات أحسن من عدمه... ويمكن وضع الجوانب الإيجابية في المحاور الفرعية الآتية:

تعمل المؤسسات المحلية على التفريغ النفسي ونشر التوعية بين الناس. فقد ظهرت بعض المؤسسات المحلية الجديدة في سلوان، تحديداً بعد المشكلات التي أصبحت تتعرض لها، وبعد أن تم التركيز عليها كواحدة من مناطق الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

وقد كان هنـــاك آراء ايجابيـــة تتعلـــق بالموضـــوع؛ فقـــد وصـــفت لينـــا دور بعـــض المؤسسات المحلية بالفعّال أغلب الوقت، فهي وأولادها وزوجهـــا حتـــى شـــاركوا فـــي كثير من النشاطات عن طريق المؤسســـات المختلفـــة، وقـــد رأت بـــأن أولادهـــا قـــد أحبوا النشاطات واستطاعوا تفريغ ولو جزء مـــن الضـــغوطات التـــي تـــواجههم رغـــم صغر سنهم. وكانت هناك بعض الفعاليات المشتركة بين الأهـــل والأبنـــاء والتـــي قـــد أحبتها لينا، فهي تجد أن أبناءها بحاجة لمثل هذه النشاطات مـــن فتـــرة لأخـــرى، فهـــم باعتقادها محرومون من طفولتهم.

ومن خلال المشاهدة أستطيع أن أوكد أن المؤسسات قد لعبـــت دوراً إيجابيـــاً فـــي هـــذا الجانب، فسلوان منطقة مكتظة، حالها حال منـــاطق القـــدس الشـــرقية جميعهـــا، ولـــم يكن يوجد فيها أي مساحات للعـــب، لكـــن بعـــض المؤسســـات أخـــذت علـــى عاتقهـــا تجهيز ملعب أو استئجار غيره. ومن أولويـــات العمـــل التـــي تحـــدثت عنهـــا فريـــدلي (Freidli, 2009) كسياسة لـــدعم الجلـــد، كانـــت إقامـــة شـــراكات بـــين القطاعـــات المختلفة، كالاقتصـــادية والاجتماعيـــة للتصـــدي للمشـــكلات التـــي تواجـــه المجتمـــع، وفعلاً يحتاج المجتمع لبعض الدعم من خـــلال المؤسســـات لكـــي يحقـــق بعـــض مـــن أهدافه.

وفي سياق الحديث عن أهميـــة دور المؤسســـات فـــي نشـــر الـــوعي، أضـــاف الســـيد محمد موضوعاً مهماً آخر ، يتعلق بدور هذه المؤسسات المحليـــة فـــي نشـــر الـــوعي، فيقول: "المؤسسات المحليـــة لعبـــت دور مهـــم فـــي ترســـيخ الـــوعي ونشـــره لـــدى

السكان، وتحسين نوعية المقاومة، فلا تكون المقاومة فقط بالحجر، ففي مقاومات من نوعيات تانية. وكمان لبعت دور في التجاذب بين السكان والفصائل، فهناك مؤسسات لا يوجد فيها توجه سياسي معين كانت حلقة وصل بين الفصائل الفلسطينية ونوعية العمل المشترك. وبدون عمل المؤسسات المحلية، لما كان اليوم نضال فلسطيني منظم".

وفيما يتعلق بالمقاومة، فباعتقادي هناك ارتباط ما بين المقاومة والجلد؛ فالجلد على المستوى الجماعي تمهيد وخطوة أولى للمقاومة، وشرط للتغير من خلال المقاومة.

وقد شاركت شخصياً بعدة فعاليات قام بها المركز الذي يديره السيد محمد، ووجدت بأن أهدافها تصب في صميم القضية، وتعمل على سد فجوات الحاجات المجتمعية التي يعيشها طاقم المركز أنفسهم بكل تفاصيلها. ومن تلك الفاعليات مثلاً، العمل مع الأطفال على التوعية القانونية، فالعديد منهم ممن يتم اعتقالهم ولا يعرف كيف يتصرف، فكانت هناك حوارات عن تجارب سابقة للأطفال، مقابل توعية من قبل طاقم عمل من المركز بتوجيه هؤلاء الأطفال لحقوقهم في مثل تلك الحالات، كحقهم بعدم الرد، ووجود محامٍ... وغيرها.

بعض المؤسسات الدولية ساهمت في الدعم المادي، وعملت على توثيق بعض الأحداث. وقد تم الإشارة لبعض المؤسسات، خاصة الممثلة لدول أجنبة معنيّة بالحفاظ على المقدسات، والتي قامت بتمويل لمشاريع موجهة في القدس، مع

التأكيد على عدم توجيه هذه المساعدات بشكل مباشر للأفراد أو العائلات، بل كانت مقابل خدمات معينة تنفذها وتتوقف.

أبو عمر: "العديد منها ساعدت بالتحديد المؤسسات الممثلة لدول خارجية. وتم تغطية تكاليف المهندسة المسؤولة عن المنطقة بمبلغ حوالي 130 الف". وأخبرني قصة مشابهة عن المحامي الذي كان ممكن يتوقف عن المرافعة لصالح حي البستان؛ لعدم تغطية تكاليفه التي تقدر1500 $ شهرياً من كل عائلة من عائلات الحي والتي غطتها مؤسسة اخرى. لكنه يعتقد بأنه لا وجود لمساعدات مادية مباشرة للناس.

عندما تناولت موضوع المؤسسات المحلية مع السيد محمد، وهو للتذكير، مدير أحد تلك المراكز، كان رأيه بأن المؤسسات المحلية قد لعبت فعلاً دوراً إيجابيا في فضح الممارسات الاسرائيلية، مع تحفظه على بعض الجزئيات التي تتعلق بوجود مناصب إدارية ساهمت في كسر ثقة الناس ببعض منها.

ومَن منا أقدر على توصيل رسالتنا للعالم وتوثيق ما يحصل معنا من منظورنا وواقعنا المُعاش.

وبرأي السيد محمد بأن أهمية المؤسسات الدولية تتمثل فقط في مساهمتها بتوثيق الأحداث في المنطقة لنشرها على مستوى دولي، فقال: "تساهم هذه المؤسسات في اصدار التقارير الناقدة للاستيطان وتوثق الأحداث وتنشرها على المستوى العالمي".

ولا يمكن أن ننكر فضلها على ارسال الصوت الفلسطيني من خلالها للعالم، حيث يعتبرها البعض مصدراً للثقة أكثر من غيرها.

أما الإعلام الذي أصبح وجوده مشهداً شبه يومي في سلوان فهو يساهم بنشر قضية سلوان بشكل أساسي. وكان لأم علي رأي خاص بالموضوع، أثار إعجابي بشكل شخصي، فقد أثنت على دور الإعلام والصحافة، وهي برأيها الوسيلة التي تجعل صوتهم مسموعاً، والوسيلة التي وسعت من علاقاتهم... وأخبرتني بأنها لم تكن تحلم يوماً بأن تلتقي وزيرة، وبرلمانيين، وشخصيات مرموقة في البلد وجميع شرائح المجتمع وتخرج وتعبر عن قضيتها. كما أن الفرصة قد أتيحت لها من خلال المؤسسات المختلفة بالمشاركة بدورات لم تكن تستطيع الالتحاق بها بالظروف العادية، كدورة الاسعاف الأولي، ودورات الإرشاد والاتصال والتواصل المختلفة.

ويجدر الإشارة إلى أن أم على بطبيعة شخصيتها كانت دائمة النشاط والتجدد، وأعتقد أنها إيجابية بتفكيرها على الأغلب، لكنها لم تكن الوحيدة التي اعتبرت الظروف الصعبة أعطتها فرصة، فالنساء اللوات ذكرتهن سابقاً من مجموعة التطريز قد ذكرن أشياء مشابهة عن زيادة استقلاليتهن الذي ساعدتهم المؤسسات التي ظهرت حديثاً في الحصول عليها.

ومن جهة أخرى وبالتركيز على الإعلام المحلي الذي وجدته ملفتاُ أكثر من غيره، قال السيد محمد: "اليوم الاعلام المحلي يمعن في المنطقة نفسها، وهو الذي يصدر الاخبار مثل الموقع المتخصص لأخبار سلوان على الانترنت، ولو ما في موقع ما في تفاصيل".

فالموقع الذي يتحدث عنه هو موقع إلكتروني عبر الإنترنت، والذي يختص بتفاصيل أحداث سلوان ومجرياتها بشكل يومي. وكنت قد استفدت منه شخصياً في معلومات عن المنطقة، أو حتى في متابعتي للقضايا والهموم المجتمعية في سلوان؛ فما من حالة اعتقال، أو توزيع لأمر هدم، أو زيارة لأحد المسؤولين، أو جلسات محاكم.. إلا ويتم ذكرها بخبر مرفق بصور أو حتى تصوير فيديو.

الجانب السلبي

- هناك حاجة أكبر للدعم المادي.
- المؤسسات المتواجدة في المنطقة حالياً لا تعمل بجهد كافٍ، ولا تلبي هدفها.
- التزام المؤسسات بأجندات معينة والتي لا تخدم المستوى المطلوب للفلسطيني.

هناك حاجة أكبر للدعم المادي من المؤسسات. وهي فعلاً حاجة ملحّة لمجموعة كبيرة من أفراد المجتمع، مع ذلك لم تكن المطلب الأساسي للحفاظ على الجَلَد، لكن وبالرجوع للعامل الاقتصادي، نجد بأن الحاجة موجودة لا يمكن إنكارها.

والمؤسسات الموجودة على الساحة اليوم تركز على الجانب المعنوي، كما ذكر أبو خالد، والذي لم ينكر أهميته، لكن على الصعيد المادي لا يوجد أي دعم، وهم اليوم أيضاً في أشد الحاجة له ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك.

وهذا أيضاً ما أكد عليه السيد محمد، مشيراً لأن المؤسسات المحلية داخل سلوان لا تستطيع تقديم الدعم المادي، فقط تقدم الدعم الخدماتي للأطفال وكاستشارات.

وأعتقد أن هناك بعض الناس ممن اعتاد أن يحصل على المساعدات السريعة والسهلة والتي أصبحت للأسف جزءاً من ثقافة جديدة، أرجو أن لا تكون منتشرة لكنها موجودة. وباعتقادي أن وجود المؤسسات يمكن استغلاله بما هو أفضل لتحسين نوعية الحياة المستقبلية، بالتالي لا تكون الحاجة المادية هي الأساس، والتي قد يحصل عليها اليوم، لكنه سيحتاج غيرها غداً.

المؤسسات المتواجدة في المنطقة حالياً لا تعمل بجهد كافٍ، ولا تلبي هدفها.

فالخدمات التي تقدمها المؤسسات لم تبلغ حد الإرضاء لأفراد العينة، ذلك أنها لا تشمل الجميع، وسلوان بحاجة لأكثر من خدمات سريعة قصيرة المدى، همّها التباهي بعدد المنتفعين دون تقديم الخدمات النوعية.

وقد علقت لينا بأن بعض المؤسسات لا تلبي دائماً هدفها المطلوب، فتقول أنها أكثر من مرة كانت تعود من جلسات تفريغ لنساء الحي بالتعاون مع إحدى المؤسسات، وتعود لمنزلها منهكة ومجروحة أكثر من قبل؛ وتذكر أنها في مرة

من المرات عندما طُلب منها أن ترسم، أثارت رسمتها اهتمام المرشدين لتلك الجلسات وطلبوا منها أن يحتفظوا بالصورة وأن تتابع العلاج معهم لكنهم لم يعودوا أبداً.

ورأت ام حسين أن المساعدات التي تقدمها المؤسسات بشكل عام تتركز على الجانب المعنوي "غير المرضي"، وبرأيها "الإنسان هو اللي بساعد نفسه".. فالمؤسسات يمكن أن تدعم معنوياً فقط، وأحنا بحاجة لأكثر من ذلك. وأشارت بأن المؤسسات تُعنى بفئات معينة من الناس، ووضحت بأنها ليست كافية للجميع، فهناك نشاطات متعددة للأطفال أكثر من غيرهم، وحتى أنها تستهدف نفس الأطفال. أما للنساء فلا يوجد متابعة مستمرة.

من الممكن أن ذلك صحيح، لكن الفرصة اليوم متاحة للخروج والتعبير عن الرأي. فيمكنني أن أتخيل أن العمل مع النساء من أولويات المؤسسات غير الحكومية اليوم، ولو طالبت مجموعة من النساء باقتراح معين فلن تخسر، بالعكس من الممكن أن يتم تلبية مقترحها.

أما ندى، فلا تشعر باهتمام المؤسسات بشكل كاف، وحتى الأطفال وهم الأكثر أهمية كما تعتقد، لا يجدون مكان للتسلية والترفيه.

وكان هناك البعض ممن قابلت متيقنين من أن المؤسسات والاعلام على حد سواء، لا يتواجدون إلا في "المناسبات" وفي وقت يكثر فيه العمل من أجل النشر، لا العمل من أجل نصرة القضية.

يقول أبو عمر: "المؤسسات بتواجدوا فقط لمّا يكون في مؤتمر صحفي او شيء ظاهر للعموم بدون دعوى مسبقة، مع انه أنا مش ضد. اما من ناحية المساعدات فهي تقريباً معدومة".

كما عبر السيد فاروق بأن المؤسسات المتواجدة اليوم لا تعمل بشكل كاف على إبراز تاريخ قضية القدس، وهي مقصرة بشكل كبير حتى من ناحية الانتاجات المعرفية التي تصدرها مقارنة بالتي يصدرها الجانب الإسرائيلي، فيقول السيد فاروق: "الناس بتمر عن سور القدس يومياً وما بتعرف تاريخه. في المقابل، وفي عام 2012 وحده صدر 46 كتاب اسرائيلي من علماء كبار بتوثيق كامل تتحدث عن الاثار في منطقة الحوض المقدس من الشيخ جراح حتى المكبر بالأخص سلوان... بينما حاولت مراجعة بعض المهتمين بعلم الاثار، لكن لم أجد ولا حتى نشرة واحدة بهذا الخصوص... همَّ بحاربونا ثقافيا وعلميا، واحنا للأسف مش ماخدين هذا الموضوع كجانب من جوانب الصراع معهم".

فعلاً هناك تقصير دائم في جانب الانتاج المعرفي الأكاديمي، وحتى أكون أكثر إيجابية، من الممكن أن هذه النقطة بالتحديد أصبحت تؤخذ من جديد بعين الاعتبار، على الأقل كما وجدت في مركز مدى الذي أصبح يصدر التقارير والأبحاث الموثقة العلمية، ويشاركها في المؤتمرات الدولية.

أما الموضوع الأكثر إستفزازاً كان التزام المؤسسات بأجندات معينة ، أي أجندات تلزمهم بالعمل مع الفلسطيني، شرط الإبقاء على رضى "إسرائيل". بالتالي لا تخدم المستوى المطلوب للفلسطيني.

ويقول السيد محمد بهذا الصدد: "مشكلة المؤسسات هاي انها محددة بأجندة معينة، مش معنية تصطدم مع اسرائيل... والمؤسسات الموجودة في مدينة القدس معظمها يجب التشطيب عليها والسبب هو عملهم في موضوع الديمقراطية والسلام وغيرها من المواضيع، اللي من الأولى إلهم العمل في اجندتهم أولاً على الاعتراف بوجود احتلال، والاعتراف بان المشكلة في الاساس مشكلة سياسية مش مشكلة حقوق انسان".

وقد أسهب السيد محمد في حديثه عن هذا الجانب بالتحديد، فيرى أن الاموال التي ترصد لموضوع بناء الديمقراطية وبناء الانسان انها تتوجه للناس مباشرة لمساعدتها على البقاء على مقومات الصمود. فيقول: "وهادا الشيء يحصل لأن الممولين الاجانب تحديداً لا يقدمون التمويل لبناء مجتمع فلسطيني انما يعمل على تأهيل المجتمع الفلسطيني ليتقبل كيان اسرائيل. واعتقد ان المؤسسات الفلسطينية والدولية بالأساس لازم يكون واضح بالنسبة إلها وجود احتلال والا احنا مش بحاجة لمثل هيك مؤسسات".

وأذكر يوماً عندما تواجد بعض المتضامنين الأجانب في سلوان، ومنهم من كان يهودياً، فسألت السيد محمد عن رأيه حينها. أخبرني أن وجودهم لا مشكلة فيه،

فهم بإمكانهم دعمنا أمام العالم، لكنه يتحفظ على جزئية المكان، فالتضامن مع أهل سلوان لا يجب أن يكون في سلوان فقط، فنحن نعرف ما يدور بسلوان من أحداث، لكن التضامن يجب أن يشمل التفاف مجموعة من الناس لإيصال فكرة معينة في الجانب الآخر، كأن يكون التضامن مع أهل سلوان في جزء من القدس الغربية أو المدن الأخرى التي لا تعرف أي من تفاصيل الأحداث في سلوان.

وكان جانب من العتب واللوم على السلطة الفلسطينية نفسها؛ فكان من يجدها مقصرة بحق المقدسيين، وقضية القدس بشكل عام. وقد حاول البعض أن يوصل رسالته للسلطة، ولم يجد في ذلك أي خطوة نحو تشبثه بأمل تحقيق مبتغاه. فقد قام ابو خالد على سبيل المثال بتبليغ بعض المسئولين في السلطة الوطنية الفلسطينية، حتى أنه وصل لرئيس الوزراء نفسه والذي لم يُبد تعاوناً كبيراً، فقد طلب منه أن يبلّغ السلطة في حال تم تنفيذ الهدم!.

السيد محمد: "من الشغلات اللي بتضعف صمود الناس هو المفوض السياسي او السلطة، اللي ما عم تدخل في موضوع الاوقاف والمؤسسات الرسمية التابعة لسلطتها او حتى للأردن، إلهم ادوار ما بقوموا فيها، ولا يوجد شفافية في مؤسساتها... موضوع اللامبالاة من السلطة الفلسطينية والدول العربية اشعرتنا انو احنا اللي لازم نتحدى ونضحي بكل شيء... وانا متأكد انو في ناس مستعدة تضحي بروحها لتبقى في بيتها، سواء بالإخلاء او بالهدم او غيره. واليوم احنا اي مسؤول عربي او في السلطة الفلسطينية، ومن شتى انحاء العالم بنقلهم حلو

عنا، بدناش ولا اشي. احنا صار النا فترة طويلة بنطلب مساعدات، واليوم صارت ثقتنا بانفسنا، بس احنا اللي قادرين نحمي ارضنا".

ويرتبط ذلك بايديولوجيا المواجهة التي تزيد من العلاقات التضامنية الداخلية لمواجهة المجتمع الخارجي بسبب عدم رضى المجتمع المحلي عن مجتمعه الخارجي الاكبر والدولة الامر الذي يعزز انسحابه للداخل (المالكي وآخرون، 2004). فقد كانت التجارب السلبية المتكررة كما وجدت سبب من أسباب الاحباط التي أصابتهم لفترة معينة، لكنها ومع الوقت كانت نفسها السبب في اعتمادهم على أنفسهم.

وقد كان للسيد فاروق رأي مشابه، فقال: "الصمود اللي بنعيشه بنبع من داخل الذات بالأساس، وهاي العوامل الخارجية تأثيرها بسيط جداً جداً". فلا يوجد برايه دعم ذو قيمة كبيرة، والمؤسسات في بعض الحالات تشكل ضغطاً اضافياً على الناس. لكنه من جهة اخرى أخذ يخبرني بأنه لا ينكر اهميتها في الجانب الاعلامي على حد الخصوص، لتوصيل الرسالة الى العالم الخارجي... ولم ينتهِ من فكرته حتى عادت به الذاكرة ليوم لقائه بالرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر، حيث شرح له السيد فاروق بإسهاب خلال اللقاء عن وضع سلوان، وحاول ان يشرح الانتهاكات الحقوقية التي تحصل... فما كان من الرئيس السابق الا ان اجاب بأن اسرائيل هي فوق القانون الدولي، وقد ذكر جملته كما هي بالانجليزية "Israel is above the international law" . وعندما سمع تلك

الجملة توقف السيد فاروق عن مناقشته لما يحمله من فكرة مسبقة، بالتالي ما من فائدة من استكمال الحديث.

وباعتقادي فإن وجود "الأفكار المسبقة" على حد تعبير السيد فاروق، هو أمر موجود ونعيشه في الوقت الحاضر ومنذ زمن في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وهو أساس التميز، والذي يعتقد فيه الإسرائيليون، الذين يقيمون دولة يهودية على أراضٍ ليست لهم، بأنهم "الجنس الآري" ولهم الأفضلية.

أما فيما يتعلق بالضغط على إسرائيل، فهو مؤقت، كتأجيل بعض المحاكمات أو ما إلى ذلك، لكن لا تلغى أي من الاجراءات المتخذة ضدهم. وقد كان أبو خالد يحاول أن يكون أكثر واقعية وقال: " يا عمّي إسرائيل مش معنية وما راح يقدروا يعملوا إشي... ما بدافع عن الأرض إلا أصحابها. الأجنبي باخذ عدد الجرحى.. بس أنا قلبي بنجرح عليهم.. المؤسسات بس بدها تجمع معلومات." وأضاف معاتباً بعض المؤسسات التي تنتظر حدوث الحدث لتقدم مساعدتها؛ فهو بحاجة لأن يوقف قرار الهدم كما يقول، ولا يريد خيمة على ركام بيته.

المحور الخامس: الوعي السياسي الوطني والقانوني

كنت أسأل عن الدافع للبقاء أو الرحيل، وعن مدى شعور الفرد بتأثير وعيه بقضيته على جلده.

الجانب الايجابي

- الشعور بالمسؤولية تجاه واجباتهم الوطنية في الحفاظ على الأرض.
- تطور الوعي في الجانب القانوني من خلال تجاربهم السابقة مع الاحتلال.

الشعور بالمسؤولية تجاه واجباتهم الوطنية في الحفاظ على الأرض. وقد لاحظت أن الوعي الموجود لديهم مصدره الإيمان بالفكرة وبأنهم أصحاب حق، بالتالي موضوع البدائل التي تم عرضها عليهم للرحيل كانت مرفوضة بشكل قطعي.

أبو عمر: "عرضوا علينا عروض كنقل اهل البستان لمنطقة معينة من بيت حنينا، بس هذا تهجير والمسألة مش مسألة بديل. فهذا حرام حتى شرعاً ".

أم حسين: " إحنا أصلاً سلاونة، ما إلنا غير بيتنا، لمين نرحل ونترك بيتنا؟! عشان يهدّوا ويخلصوا منا... إحنا مطاردين وين ما كان، سواء بحي البستان أو غيره.. هدفهم يخلعونا ويزيحونا، بس احنا هون جذورنا.. في اشاعات بتقول بدهم يعطونا بديل، بس احنا ما بنرضى. كل مكان وإلو أهلو، وإحنا أهل هاي البلد".

وقد عبرت أم علي باختصار بأنهم أصحاب حق، فالبيت ليس لهم، والأرض ليست لهم، وفلسطين كلها ليست لهم. وهي حالها حال إم خالد والسيد فاروق، الذين أكدوا جميعاً بأنهم لو اضطروا البقاء بالخيام بعد هدم بيوتهم، فلن يتنازلوا.

وقد شهدت بعض النقاشات والحوارات مع بعض الشباب المراهقين، والذين عبروا عن متعتهم باستفزاز الجيش الإسرائيلي عند شعورهم بالغضب، أو لأجل التسلية في بعض الأحيان. وقد أخذنا النقاش وتعمقنا أكثر، وأذكر عبارات مشابهة لما قالته إم علي، فالشباب كلهم ثقة بأنهم أصحاب حق، بالتالي لا يشعرون بالخوف، فتمسكهم ودفاعهم عن أرضهم هو ما يعطيهم المعنى لحياتهم.

اشار السيد فاروق بأن أمامه خيارين قائلاً :"احنا بنحب الحياة، بنحب انعيش زي اي اسرة في الدنيا "، لكنه مع ذلك يفضل ان يتم الهدم فوق رأسه على ان يتألم مرتين، مرة عند اجباره على الخروج من بيته ليهدم أمام عينيه، ومرة ثانية عندما يصبح مشرداً مع اولاده واحفاده دون مأوى. اما الخيار الثاني هو ان يعيش في ارض بيته تحت الشجر الموجود في ساحة منزله، رغم أنه أشار بأن الهدم المفروض عليه هو هدم بمصادرة الارض، لكن مع اعتياده على "الرفاهية" فهو يتخلى عن ذلك في سبيل محافظته على قدسية ارضه، فقال: "ممكن تكون الارض فرشة والسما لحاف".

أكد بأن الخيارين "أصعب من بعض" لكن لا يوجد خيار ثالث، فهو لا يفكر ابداً في هدم منزله هدماً ذاتياً، رغم انهم يفرضون غرامات مالية كبيرة في حال قامت البلدية بالهدم. ودافع السيد فاروق عن نفسه قائلاً: "موازين القوى معروفة، فهم بمتلكوا كل القوة واحنا مدنيين عاديين بندافع عن حقوقنا"

ومن ذلك أيضاً ما أخبرتني به لينا، وعلى الرغم من تعلقها في بيتها إلا أنها وفي بعض من لحظات اليأس كانت تقترح على زوجها الانتقال للعيش في الضفة الغربية فكان يجيبها فوراً بأن هذا بالتحديد ما تريده إسرائيل ويرفض الفكرة نهائياً. أي يمكن أن نلاحظ بأنه حتى وإن تم طرح موضوع الرحيل لدى البعض في لحظات، فيتم صد الفكرة نهائياً.

ومن الملاحظ أيضاً وجود الوعي بأن مسألة هدم البيوت بالتحديد هي مسألة مدروسة ومخطط لها من قبل "إسرائيل"، بالتالي يزيد ذلك من عزيمتهم على البقاء، فالموضوع بالنسبة لهم لا يتعلق بقانونية منازلهم، بل بخطة كاملة تسعى للقضاء على وجود الفلسطيني المقدسي.

السيد محمد: " إخطارات الهدم في سلوان في مجملها اخطارات سياسية، وهم يسمونها ادارية – المعنى المقصود منها القضاء على التكاثر الديموغرافي والقضاء على تكاثر السكان، وعدم تثبيتهم في سلوان. وهذا الوضع موجود في كل القدس".

السيد محمد: "واليوم في قناعة للجيل الصغير خصوصاً –وهو أمر مهم– واسرائيل تفهمه جيداً وهو، تغيير التوجه الفكري للإنسان الإسرائيلي، فكان جيل ابوي اللي حس النكبة وتهجروا – يخافوا من اشي إسموا إسرائيل، لما إجا جيل الانتفاضة –جيلنا– صار عنده رهبة لكنها اتفجرت فجأة... واليوم في جيل طالع لا يؤمن بوجود اسرائيل نهائياً".

هذا يشبه ما ذكرته سابقاً عن شعور الشباب المراهقين وثقتهم بأنهم أصحاب حق.

السيد فاروق يعتبر أن الصراع هو أكبر من أن يكون مادياً فقط، رغم الصعوبة المادية لكن الهدف يبقى "التطهير العرقي" حسب تعبيره. ويعتقد السيد فاروق بأن "الإسرائيليين" يغلفون مقاصدهم من الحصول على الارض بغلاف ديني كونهم يعتبرون بأن هذه الارض ملك لأجدادهم وللملك سليمان. فيقول: "لكن انا هون، واجدادي قبلي من آلاف السنين ولدوا في هاي الارض ولو فعلاً هاي الارض للملك داوود وسليمان، فانا احفاده مش هم اللي جايين من رومانيا وغيرها، واحنا اولى في ارضنا". قال منفعلاً واكمل " لو يرجعوا لأسماء عائلاتنا لوجدوا انو احنا حافظين من 10 ل 15 جد، كانوا موجودين قبلنا، وفي الفترة اللي ما عمرهم كانو فيها ".

والسكان اليوم أكثر إدراكاً لمحاولات "إسرائيل" لخداعهم، فقد كانت هناك محاولات عديدة لزرع الفتن فيما بينهم، منها ما نجح، وسأذكره لاحقاً، ومنها ما كان فيه جانب من إدراك المؤامرة.

أبو عمر: "إسرائيل ما بتتركش إشي وبتمشي خطوة خطوة، قالت اتركوا المنطقة اللي فوق واسكنوا تحت، عشان تفرجي العالم إنها بدهاش تهجر. وصاروا يقولوا بدنا المنطقة الفوق لمدينة داوود، يعني بس بنهد 22 بيت، بعدين قالوا 33"

السيد محمد: "الناس اليوم بمجملها تؤمن بوجود مشروع استيطاني، وانها لن تقدم سلوان على طبق من ذهب. واللي عم بصير في سلوان اليوم انو 88 بيت في

البستان وهذه مهددة بالازالة. حاولت البلدية ان تتلاعب في الموضوع، حكت للناس بدناش 88 بيت، بنهدم بس 22 – اي الربع –وطلعوا اشاعات انو 10 بيوت منهم قبضوا وباعوا البوت على اساس الناس تصير بينها تحكي – انو جاري قبض وانا بقبض وبنخلص خلص، وبنفس الوقت كأنه 88 بيت المتبقيين ما الهم علاقة. لكن بالعكس عندما قامت البلدية بذلك، اصبح التفاف اكبر حول السكان، وفهموا انو ذلك لعبة كبيرة تلعبها اسرائيل، واصبحوا يثبتون ذلك وفما يحصل مع الاعلام الاسرائيلي وكأنها متعاطفة".

تطور الوعي في الجانب القانوني من خلال تجاربهم السابقة مع الاحتلال. فقد كانت هناك العديد من التجارب الحياتية من اعتقالات لأطفالهم على وجه الخصوص، وتلقيات لإخطارات ومخالفات، وغيرها من الأعمال التي لو لم تمسّهم بشكل مباشر، فقد عاشها غيرهم وتعلموا منه، بالتالي جعلت أهالي سلوان مع مرور الوقت "خبراء" في هذا المجال.

أبو عمر: "اليوم الوقت بعلّم، صرنا نعرف إنو لما بدهم ياخدوا ولاد صغار بهذا السن احنا بنتنّح؛ لأنو انا بطلع معه، يعني جارنا تنّح وقلهم أنا بجيبلكم اياه وما خلاهم ياخدوه... احنا مكناش نعرف، وصاروا المحامين يقولوا ليش تعطوهم، وهيك صرنا نعرف. وحكولنا انو هدول ولاد صغار، بالتحقيق لازم يكون قدامك، صح انت ممنوع تحكي بس بتكون معه"

أما ندى، فقد عاشت هي نفسها تجربة تحقيق بسبب قضية رفعت ضدها ولم يكن لديها أدنى فكرة عن الموضوع؛ ففي أحد الأيام وفي فترة استمرار المواجهات في الحي الذي يعلو حي البستان، كانت ندى متواجدة في حمام خارجي تساعد ابنة أخ زوجها من ذوي الاحتياجات الخاصة، والحمام الذي تستخدمه يطل على ساحة تابعة للبيت. فجأة، هرب بعض من الشباب مروراً بتلك الساحة، ولحق بهم جندي وكان قد افتقد أثرهم. ركض باحثاً عنهم في كل مكان مقتحماً الحمام، دافعاً ندى بقوة. قامت ندى وتناولت دلو صغير بالحمام، رامية اياه على الجندي مدافعة عن نفسها وهي تصرخ. دخل بعض الشبان للساحة، واستمرت الاشتباكات ورمي المطاط، حتى انتهت القصة في اليوم نفسه. وقد اعتقد الجميع أن القصة قد انتهت، لكن بعد ذلك اليوم بيومين، كان هناك حملة اعتقالات. أخذوا 3 شباب، وكانوا يسألون عن امرأة لم يذكروا اسمها، وعلى الأرجح لم يعرفوه أصلاً. في اليوم التالي وصل خبر لزوج ندى بأن الامرأة التي يبحثون عنها هي زوجته....

أثناء حديث ندى عن قصتها وهي متأثرة بها، تدخلت ابنتها التي لا يتجاوز عمرها 14 سنة، قائلة: "لو انتو اللّي اشتكيتو أوّل كان ما صار هيك".

وقد أثنت ندى على كلام ابنتاها، وأخبرتني بأنها تنصح كل الناس بالتوجه للمحكمة لمحاولة الحصول على حقوقهم، ففي النهاية سيكون قد حاول.

فالفلسطيني اليوم يعيش نظام حكم يعمل على الفصل القسري بين مجموعات السكان، وهو مبني على الفصل القسري من مجموعة معينة تجاه مجموعات

أخرى تقع تحت سيطرتها (غانم، 2009) فيشعر البعض بأن إسرائيل الأقوى، بالتالي لا يفكر في أن يحاول حتى محاولة تحصيل حقوقه ولو كان من خلال قانونها الخاص.

السيد محمد: "احنا كفلسطينيين مضطرين نتعامل مع قوانين الاحتلال وكأنه هو القانون الوحيد اللي عنا لأنو فش غيره". بالتالي يشجع السيد محمد على الوعي بالقانون الموجود، فهو القانون الوحيد الذي يمكن للمواطن المقدسي التعامل معه.

ومن أشكال الوعي التي أصبحت مدركة بشكل أكبر، هو موضوع منع استخدام المسميات الإسرائيلية للأشياء، فيقول السيد محمد: "هناك نوع من الوعي الوطني يتمثل في استخدام المصطلحات السياسية والمسميات التي تستعملها اسرائيل وصار الهم فهم وتفسير اوضح". وبرأي الخاص، ومن خلال ما شهدته خلال العمل، أجد بأن الكثيرين بحاجة لتعويد أنفسهم أكثر على عدم استخدام المسميات العبرية للأشياء والمناطق؛ فلازلت أسمع "عير دافيد" بالعبرية عن المنطقة المقامة "كمدينة داوود"، و"الكوتل تعبيراً عن حائط البراق.

فالمواطن المقدسي أصبح يستخدم مثل تلك التعبيرات في لغته الخاصة، فنجد أن هناك حتى من النساء كبار السن اللواتي يذكرن بعض المصطلحات العبرية. إلا أن ذلك لا يعني شرط التقبل. ويمكننا أن نجد أن هناك حملات تدعوا لمقاطعة الكلمات العبرية في سياق الكلام العربي، ليس ذلك فقط، بل وجدت في سلوان أن

هناك مقاطعة شديدة للأفراد الذين يتعاملون مع الإسرائيليين في سلوان؛ فقد كنت في طريقي لشراء شيء من محل تجاري صغير في أول الحي، فحذرني شاب من المركز بالشراء منه كونه يبيع المستوطنين! بالتالي كان الخيار بأن أشتري من محل أبعد قليلاً لكن البائع فيه يرفض التعامل مع المستوطنين وبيعهم من عنده.

الجانب السلبي

- استغلال للناس من قِبل مستفيدين و"أغنياء حرب".
- محاولات إسرائيلية لخداع الناس.

استغلال للناس من قِبل مستفيدين و"أغنياء حرب". فقد ظهر من يتظاهر بالوطنية والاهتمام بالقضية، في حين كانت الحقيقة تتجلى بالمصالح الشخصية المادية، أو حتى الأيدولوجية.

وقد كان أول من لفت انتباهي لمثل هذه الظاهرة أبو عمر، فقال: "شوفي تلك الفترة الاولى لموجة المخالفات التي انتشرت في سلوان، أجا مين يستغل الموقف، منهم مهندسة اسرائيلية، لعبت علينا عملية نصب واحتيال واقنعتنا انها بتقدر تساعد" كان هذا في 2004-2005. يكمل أبو عمر: "كذلك نصبت على اخوتي، فاستلمت 14 الف $ كأتعاب مقابل حل القضية... كنّا جاهلين، كانت الاتفاقية

باللغة العبرية، وحطت بنود لصالحها". وعندما سألته عن تفاصيل أكثر أخبرني بانها طلبت أن تتقاضى المبلغ للمحاولة فقط في حين كانت قد اكدت في البداية بأنها متأكدة من قدرتها على حل القضية ولم تحضر معهم حتى للمحاكم.

وعندما سألت السيد محمد عن هذه القضية إن كانت موجودة كظاهرة أم أنها عابرة، قال: السيد محمد: مع الاسف، في مهندسين ومحاميين اللي اشتغلوا مش عشان مصاري لكن الشغل كان ايديولوجياً، حتى انو متطلباتهم المادية كانت اتكون اقل من المحاميين والمهندسين العرب. فالشغلة ايديولوجية فكرية يهودية يسارية... المحامي الاسرائيلي انتمائه ايديولوجي ويعتبر انه ضمن نضاله ان يوقف الاحتلال. وفي النهاية لتصب في مصلحة الصهيونية، بإزالة الاحتلال من الضفة والقدس الشرقية، لانهم على علم ويقين بان الاحتلال يضرهم اكتر من ما بنفعهم. بتعرفي زي سياسة win win، مكاسب مشتركة بنوصلها مع اليسار الاسرائيلي بس مش نفس الهدف، يعني بدافع عنّا من ناحية انانية..." وأضاف مسهباً في حديثه: "معظم المحاميين عنّا مش من داخل القدس (يقصد المحامين العرب من خارج القدس)، وهم جايين تجارة ومش على خلفية قومية، وطنية، بل استثمار واعمال. مع الفترة بتعاملوا مع القضايا المريحة الوطنية".

وكما ذكرت سابقاً، للأسف إستطاعت إسرائيل بالحرب النفسية التي تعامل الفلسطينيين بها أن تخلق جو فكري يسعى لجعلنا نعتقد بأفضلية إسرائيل.

شهد بعض أهالي سلوان محاولات إسرائيلية لخداع الناس. وتمثل هذا الجانب في ما لفتني إلية السيد محمد عندما تحدث عن محاولات تضليل السكان، والايقاع بهم، فيقول:

السيد محمد: "طبعاً هناك محاولات للخداع باستخدام مسميات، بكون الامر تحت مسمى "اعادة الشيء" الى سابق عهده، فالفلسطيني بفكر انو على بيته امر اداري – احنا هلا اصحينا الهم– بتكون اوامر الهدم عشوائية. وزي ما المثل اللي بنحكي احنا السلاونة "اللي بقلبوا مصارين بتقرقعوا... واذا الواحد عنده غرفة بانيها زيادة واجا امر اعادة الشيء لسابق عهده، بحمل اوراقه وبروح للبلدية، وهذه بداية تخدع السكان. واليوم احنا بنحذر السكان التوجه للبلدية، وخاصة عند تلقي امر الهدم بدون اسم ولا حتى اي دليل".

المحور السادس: الشعور بالاستقرار النفسي

وقد كان هذا المحور الذي هو الأخير هنا، كان أيضاً السؤال الأخير الذي كنت أنهى به حديثي مع المبحوثين، فكنت أسأل في نهاية كل لقاء عن مدى شعورهم بالاستقرار النفسي بعد سرد طويل لأحداث مؤلمة، لم أكن لأنهي بها المقابلة، بل أسأل سؤالي وأستمع جيداً، لأغلق اللقاء بكلمات متفائلة ومدح لمدى صبرهم وجلدهم.

الجانب الإيجابي

- الشعور بالانتماء النفسي للمنطقة.

الاستقرار الذي تشكل بسبب الفترة الزمنية التي تواجدوا فيها بالمنطقة.

أبو عمر: "شوفي انا مش من سلوان، بس امي ولدت هون وانا اولدت هون واولادي اليوم ما بقبلوا يطلعوا من سلوان. وأنا بتمنى زيي زي غيري من البشر الحياة الافضل إلي ولعيلتي، لكن مركز انتمائي ومحبتي في سلوان، ما بقدر أتركها."." وعقبت إم عمر: "انا نفسي مرات بكون اطلع، بس الاولاد ما بيرضوش. هذا ابني بقللي أنا زي السمكة بقدرش أطلع من سلوان."

لينا أيضاً ترفض أن تبقى مكتوفة الأيدي، فهي تعمل في بيتها وتجدد وتصلح فيه فتقول: "كلها موته وحدة.. أموت وأنا عاملة اللي نفسي فيه".

الجانب السلبي

- الشعور بعدم الأمان والخوف من المستقبل.
- استفزازات إسرائيلية واعتقالات مستمرة للأطفال والكبار.

فقد وضحت الدراسة التي أجراها المركز الفلسطيني للإرشاد لأصحاب البيوت المهدمة شعورهم بعدم الاستقرار لفترة طويلة من الزمن. (مركز الإرشاد

الفلسطيني وآخرون،2009) وأعتقد أن الأمر مشابه لمن يعيش حالة تأهب من خطر الهدم، فالمعظم دائم الانشغال بتخيل الأمر، وتكون الصدمة أكبر وأعنف عند بداية الحدث واستلام أمر الهدم قبل البدء بالإجراءات، لتعود التوترات لتتجدد بين فترة وأخرى.

وقد برز شعور بعدم الأمان والخوف من المستقبل، والذي أدى للسلبية والاحباط، وتمثل ذلك في عبارات عديدة استخدمها المشاركون في البحث مثل: "لما ينزنقوا اليهود بطلعو قانون جديد فش مشكلة"، "والله حرب اعصاب"، "كلام فاضي ان كان غريمك القاضي"... إلخ.

وقد تمثل الاحباط في الخوف من المستقبل الغامض، الأمر الذي جعل التحديث والتجديد في البيوت من الداخل أمر يحتاج للتفكير مراراً قبل الخوض فيه، من ذلك:

تقول ندى، بأن الحالات الطارئة موجودة دائماً ولا تستطيع الترتيب مسبقاً للمراحل المستقبلية من حياتها. فتقول: "كل الأجواء اللي بنعيشها فيها توتر".

أما أم عمر: "انا نفسي اعفش وازبط بيتي واعمل اشياء كتير... بخاف يهدموا البيت مع انه بحاجة لصيانة، وتجديد غرفة النوم"، وأضاف زوجها معقباً: "ما بقدر اليوم أشتري اي شيء بالدفع النقدي، وبخاف يهدموا البيت فأصير متشرد ومديون في نفس الوقت.. مع هيك ما بقدر أبقي على تفكيري السلبي. فغامرت وحطيت (جهاز تبريد) في البيت واللي احتجته من سنين".

فالشعور بالتهديد قد سيطر على تفكير البعض، مما أدى لسلبية أفكارهم، لكن مع مرور الزمن، أجد اعتياد على الواقع وضرورة استمرارية الحياة.

أم علي أيضاً تفكر دائماً في لحظة وقوع الهدم، تتساءل.. متى سيكون؟ ماذا عليها أن تفعل؟ بمن عليها أن تتصل؟ "هذا شغلي الشاغل" تقول. لا تستطيع أن يكون لها هدف مستقبلي، فهي تريد أن تدهن بيتها وزوجها يشجعها على ذلك لكنه تصده دائماً بالرد: "لمين بدك تدفع؟ لليهود؟!".

أما السيد فاروق فقد ناقش الموضوع على المستوى المجتمعي معتبراً أن هناك مشاكل اخرى كالاكتظاظ وعدم قدرة السكان على التوسع، والعديد من الامور التي تؤدي للخوف من المستقبل فهو يقول: " هدم البيت مش هدم للسقف والجدران هو هدم عائلة، وهدم مستقبل، وهدم حياة وماضي الانسان وارتباطه وذكرياته وارتباطه العقائدي... ".

ومن مظاهر الخوف من المستقبل كان الخوف على أفراد العائلة، وخاصة الأطفال منهم. فقد عانت عائلة ندى في الفترة التي سادت في سلوان أوضاع سيئة جداً لفترة لا تقل عن الأربعة شهور؛ فتأثر أولادهم بشدة، كل ليلة يسمعون أصوات قنابل الغاز والتي يدخل بعض منها داخل البيت.. لدرجة أن البنت الوسطى أصبحت تعاني يومياً من الكوابيس والأحلام المزعجة الأمر الذي جعلهم يتابعون معها جلسات نفسية مع أخصائي. قد ذكرت عائلتين من العائلات أنها قامت بالتوجه لمراكز الصحة النفسية الخاصة لعلاج أبنائها من مشكلات نفسية

أصبحوا يعانون منها بسبب الأحداث القائمة. ومن المفيد أن يتم تحويل العائلات في المحن للعيادات الصحة والصحة النفسية، ففي النهاية الهدف الرئيسي هو تمكين هذه العائلات وتطوير كفاءات جديدة ومتجددة وبناء العمل المتبادل (Wlash, 2002).

كما وتعيش أم علي "كل يوم بيومه" حسب تعبيرها "بايجابياته وسلبياته"، فلا تريد أن تبقى تنتظر مصيرها... مع ذلك لا تؤمّن على بيتها بأن تتركه فترة طويلة، فالخطر قائم واحتمالية وقوعه موجودة بأي لحظة...تقول ام علي: "مرة بتسألني بنتي، لو رجعنا عالبيت وما لقينا بيتنا، وين نروح؟!". أم علي وزوجها يجدون صعوبة بالغة في الرد على مثل هذه الأسئلة. وهي تعترف أنها في كثير من الأحيان تناقض نفسها، فهي تحذر ابنها علي من الاقتراب من الحي في وقت المشاكل، وفي وقت آخر تشجعه على الدفاع عن بيته وأرضه.

كذلك فإن ام خالد تجد صعوبة في تربية أبنائها في سياق الوضع الذي تعيشه سلوان، فتقول: "مع إنو ابني لسّة صغير، بس حسّ باللي عم بصير فينا، ومع حادثة أبوه وقعدته بالبيت صرت أخاف عليه أكثر لأنه دايماً بحكي عن شو بعملوا فينا المستوطنين والجيش... صرت أنجن عليه ليطلع برّة البيت وبركض وراه".

فعاطفة الأمومة هي عالمية بالفطرة، لكن الأم الفلسطينية قد شهدت من الأحداث الكثير، وتميزت عن غيرها بقوة احتمالها وصبرها... مع ذلك تبقى الأم وتبقى عاطفتها وخوفها على أبنائها.

أما الأمل الذي يعيشه الفلسطيني فهو حاضر غائب، يروح ويرجع... "المصيبة عنّا انو ما النا ظهر" جملة قالها السيد فاروق مقهوراً عندما كان يفكر في حاله، فهو لا يشعر بأي دعم سياسي او مادي او حتى معنوي، ليبقى الامل معه، فلا المؤسسات الدولة ولا العربية تشعره فعلا بانها معه. وقال:" الانسان لما يكون بمعركة لحاله بضيع وبفقد الامل".

استفزازات إسرائيلية واعتقالات مستمرة للأطفال والكبار. فكانت كل العائلات التي قمت بمقابلها قد جربت الاعتقال، سواء اعتقال لرب الأسرة، أو اعتقال للأبناء، أو لكليهما.

يمكن للباحث فيها أن يجد الكثير من الأحداث التي تم توثيقها حتى اليوم، والتي تبين بالأرقام حالات اعتقالات لأطفال.

فقد تم اعتقال أبي خالد، واعتقال السيد فاروق وأبنائه، والسيد محمد اعتقل عدة مرات. أما ندى فقد تم اعتقالها وابنها الذي كان بعمر 7 سنوات والتحقيق معهما، الأمر الذي أثر عليهما وبخاصة الطفل بشكل كبير، فتقول ندى بشأنه: "عم بتراجع بالمدرسة، فهو يُظهر دائماً القوة، لكنه فعلاً قد تأثر، حتى أنه عانى من

تبول لاإرادي لفترة 5 شهور، أثرت على نفسيته". كان هذا الحال بالنسبة لابن أبو عمر الذي لم يتجاوز عمره 12 سنة، وابن لينا الذي اعتقل يوم عيد ميلاده الحادي عشر، وقد عانى كلاهما من مشكلات عديدة أهمها التبول اللاإرادي والخوف الشديد لفترة.

وبالنسبة لأم حسين فقصتها مع الاعتقالات طويلة، فوقت إجراء المقابلة معها كان زوجها بالسجن، وكان ابنها الأوسط يعيش تحت المراقبة مقابل شروط جزائية في حال مخالفة ما يُطلب منه. أما أصغرهم "حسن" فهو يبلغ من العمر اليوم 12 سنة ونصف، ومن ثلاث سنوات حتى يوم المقابلة، فقد تم اعتقاله 13 مرة!... تقول والدته: "عمره صغير، ما بقدروا يخلوا فترات طويلة... مرّة وحدة نام ليلة، ومرّة أبعدوه عن البيت أسبوع بدون مدرسة، والباقي بطلع بشرط حبس منزلي لأسبوع".

أما بعد المقابلة، وفي أثناء متابعتي لموقع سلوان الرسمي على الإنترنت، فقد قرأت بأن حسن قد اعتقل مرة أخرى.

وقد زادت حالات الاعتقال الموجودة في سلوان في الفترة الحالية من مخاوف الأهل على أبنائهم فأخبرتني لينا هنا أنها وزوجها يجدان صعوبة في تربية أبنائهم، فالأولاد كثيراً ما يسألونهم عن السياسة، أو يتابعون الأخبار أولاً بأول باهتمام شديد. وابن ندى اليوم هو ذلك الطفل المنشغل يومياً بحاسوبه، يسمع الأغاني الوطنية، ويرى تسجيلات وأفلام عن سلوان. كما وتقول أم عمر معبرة

عن قلقها من الاعتقال: "والله بستنا ولادي يوصلوا البيت بالساعة. كتير كتير بكون خايفة عليهم يعني."

ويعيش الأهل توترات اضافية بسبب خوفهم على أطفالهم، فكانت عينا أم علي تذرف دموعاً وهي تحدثني قائلة: "المشكلة، شو ذنب أطفالنا...؟" فبدأت تحكي لي عن يوم من الأيام الذي شاع فيه خبر قدوم القوات لهدم البستان. اتصلت أم علي بمدارس أولادها جميعاً لتخبر الإدارة بأن تبلغهم بأن لا يعودوا لبيتهم بل لبيت خالهم، فهي لا تريد أن يعودوا فلا يجدوا بيتهم... كانت تكمل حديثها بصوت مرتجف، وقالت: "مرة بتسألني بنتي، لو رجعنا عالبيت وما لقينا بيتنا، وين نروح؟!". أم علي وزوجها يجدان، شأنهم شأن معظم من قابلتهم، صعوبة بالغة في الرد على مثل هذه الأسئلة. وهي تعترف أنها في كثير من الأحيان تناقض نفسها، فهي تحذر ابنها علي من الاقتراب من الحي في وقت المشاكل، وفي وقت آخر تشجعه على الدفاع عن بيته وأرضه.

وقد تطرق السيد فاروق لموضوع الأطفال، وبرأيه: "تزداد شراستهم، فهم الخلية الضعيفة في العائلات، ونجد ابعاد الممارسات التعسفية ضدهم كالاعتقال المستمر، والحجز البيتي، ومنعهم من الوصول الى المدارس، بالإضافة لما يسمعه الاطفال من خلال احاديث اهاليهم عن امكانية هدم بيتهم... بالتالي تزداد الاضطرابات النفسية لدى الاطفال، وانشغال كامل لتفكيرهم، الذي ينتج عنه التبول اللاإرادي والتراجع المدرسي والعنف وغيره".

الفصل الخامس

"نقاش النتائج"

إن الأزمات التي يعيشها الفلسطيني المقدسي في سلوان هي أزمات من نوع خاص، ليست كارثة مؤقتة من صنع الطبيعة، ولا حرب مركزة قصيرة المدى، فهي قضية استعمار استيطاني يخطط لمستقبل يسعى فيه للسيطرة على الأرض والموارد من خلال مسح الفلسطيني.

من خلال ما تم طرحه من نتائج بالرجوع للفصل الرابع بالبحث، ولإعطاء صورة واضحة يستطيع المعنيون من خلالها معرفة الفجوات التي بحاجة للإصلاح والبناء وفق معطيات الواقع للتعامل مع الأزمات التي يعايشها الفلسطينيون بشكل مستمر في ظروف استعمارية متواصلة منذ أكثر من ستين عاماً، وللتعمق في تجربة العينة من أعضاء المجتمع الذين يعايشون الظروف في سياقها القائم من وجود المستوطنين من حولهم، وإخطارات الهدم التي تصلهم بشكل مستمر، سيتم عرض بعض النقاط الرئيسية للنقاش.

إن من الملاحظ في المجتمعات الشرقية ومنها الفلسطينية أهمية الترابط العائلي والاجتماعي، والذي يمكن أن نستفيد منه ونستغله لمصلحة المجتمع حتى يتكيف ايجابياً في وقت الأزمات والمحن. فالصحة النفسية هي عنصر أساسي يمنح الحماية للأفراد والمجتمعات. ومن الملاحظ أيضاً أن التغير الذي حصل في

سلوان في السنوات القليلة السابقة قد شكل تغيراً واضحاً في بنية العلاقات الاجتماعية، وبالتحديد لدى النساء. وهو الأمر الذي أعتبره نجاحاً وقوة في الوقت الحاضر.

يمكن القول بأن هناك سمات عامة في قرية سلوان توحي بتضامن عام، وما يمكن أن نسميه "مجتمعاً محلياً". فهناك أشكال واضحة من الدعم والتضامن من خلال التشارك في أوضاع حياتية وأزمات متشابهة إلى حد ما، بالتالي تداخل في المصالح والعلاقات. ولكي أكون أكثر وضوحاً، فلا يمكن وصف المجتمع في سلوان بالمثالي؛ فهو حتى الآن يعاني الكثير من الأزمات والمشكلات الداخلية، خاصة بوجود تنوع في البنية المجتمعية التي لا تتشكل من نفس أهل سلوان، بل تتعدد ما بين لاجئين، وسكان من مناطق أخرى لجأوا إليها سواء لقلة تكاليف السكن أو غيرها من الأسباب. وكما شهدتُ من خلال بعض النقاشات والحوارات مع البعض، أجد أن الوعي لخطورة الانقسام والمشكلات الداخلية أوضح وأفضل لدى فئة الشباب أكثر منها لدى الأكبر سناً، فمنهم من اعتبر من هم أكبر منه أكثر تعصباً، وذلك لا يمكن أن يستمر من وجهة نظرهم في عصر الانفتاح والعولمة. أي أنه وفي الوقت الحاضر يوجد وعي أكبر لدى غالبية الناس بخطورة الانقسام، وبمصلحة إسرائيل من تفككهم.

لا يمكن إنكار تأثير التركيبة السكانية والتاريخ المشترك بين السكان على العلاقات في المجتمع المحلي. فالافتقار للتاريخ المشترك عادة ما يؤدي لضعف

العلاقات بين السكان. وهذا يتوافق مع دراسة تمت بمقارنة ثلاثة احياء في رام الله (ام الشرايط، مخيم الامعري، الماصيون) وجدت الدراسة انه عادة ما يكون هناك علاقات متوترة بين السكان الاصليين بمن فيهم لاجئي ال 1948 مع العائدين، وقد كان هذا التوتر لدى الجيل الاكبر سابقاً بين السكان الاصليين واللاجئين انفسهم، ومع المدة تلاشت هذه التوترات واصبحت اليوم مع فئة جديدة دخلت مجتمعهم "العائدين" واعتبروها مختلفة في نمط الحياة وطريقة التعامل. (أبو دحو وآخرون، 2010). فمن الممكن أن ثمة توترات سابقة كانت في سلوان بين السكان الأصليين، والساكنين لها من خارج سلوان. لكن ومع المدة تلاشت هذه التوترات لوجود نمط حياة مشترك وأولوية مشتركة (أبو دحو وآخرون، 2010). وأعتقد أن الأزمة التي يمرون بها اليوم قد ساعدت على تخطيهم مثل هذه الأزمات. ومن خلال التواجد في سلوان، يمكن الملاحظة بأن تركيبة اللجان التي تدافع عن سلوان حتى هي متنوعة، فيها من "غير السلاونة" أكثر من وجود لأسماء العائلات السلوانية نفسها. ولم يكن ذلك منذ بداية الأمر، فقد كانت إحدى اللجان في بدايتها لا تضم إلا العائلات السلوانية الأصل، لكنهم تداركوا الموضوع ليشكلوا تشكيلة جديدة فيها ممثل عن كل عائلة من العائلات الساكنة لسلوان. وقد وجدت أيضاً عند تعريف المبحوثين للمشكلات التي تواجههم، كان ثمة استخدام لمصطلحات جماعية بنبرة الكلام، وهي موجودة على أرض الواقع، وان كان لا بد من وجود بعض المعيقات والسلبيات فيها.

أما بالنسبة للتضامن ما بين السكان، فسلوان مرت بمراحل تاريخية وتحولات في بنية السكان والمجتمع، بالتالي لا بد من أن ذلك أثّر على شعور السكان بالانتماء وعلى العلاقات في ما بينهم. فمعيار المجتمعات يكون وفقاً لما تتصور نفسها عليه، لا يوجد أي معيار يقدم الحقيقة (أبو دحو وآخرون، 2010) وأرى أن سلوان مرت وما زالت تمر بمراحل مختلفة تؤثر عليها وعلى مجتمعها من خلال التجارب التي يمرون بها من خلال الواقع اليومي المُعاش. وكما وضح المبحوثون، فخبرتهم وردة فعلهم وحتى وعيهم قد تغير، ونظرتهم للأمور أصبحت أفضل في وقت تشتدّ فيه حدة الظلام.

وبرأيي، فتوحد الشعب الفلسطيني ليس بالأمر المستغرب خاصة بظروف تزيد فيها الضغوطات وتزداد الأزمات حدة، وفي ظل ظروف احتلالية قاهرة تزيد حاجة المجتمع لأن يتوحد ويتكافل من أجل العمل على توفير الأمن والحماية والقدرة على الصمود والتكيف والجلد.

من الملاحظ وجود سياسة اجتماعية تشجع سلوكيات انحرافية معينة تؤدي إلى تفكك المجتمع، وكان المؤشر عليها تفشي ظاهرة المخدرات، أو العمل على تعزيز بعض المشكلات الاجتماعية التي يشجعها الاحتلال؛ عن طريق دس الاشاعات المختلفة، وعدم التدخل لإيقاف أي صراع بين عائلات في المجتمع، حتى وإن تم استخدام الأسلحة فيها. فإسرائيل غير معنية بحل المشكلات الداخلية، بل على العكس، تؤججها وتعززها. ومن الممكن أن وجود عامل النزعة الدينية

الذي يدعو للتكافل والابتعاد عن الفتنة الداخلية قد ساعد في إقتناع البعض بخطورة الانقسام.

ويمكننا اعتبار القيم الدينية أيضاً من القيم الثقافية التي تتأثر بمرور الزمن حسب السياق، وهي مهمة لفهم سلوك الأفراد في مجتمع معين، وأعتقد أنها تتأثر أيضاً بالمرحلة العمرية والمكان. فيمكن أن التمسك بالقيم الدينية قد ازداد عند مجتمع الدراسة في الوقت الذي شعر فيه الناس بالحاجة للارتكاز على ما هو أسهل كمسلّم به كون الدين يستطيع أن يفسر ما لا يقدر العقل على تفسيره. وإن صح لي الأمر فأنا أجد أن الوعي السياسي والإيمان بالمبدأ يشبه إلى حد كبير دور الدين من حيث ارتكاز الفرد لمبادئه التي يؤمن بها، بالتالي يعمل على أساسها وهو على يقين بأنه صاحب حق. والارتكاز على الدين أو على عقيدة مبدأية معينة قد شكّل مصدر قوة باتجاه الجلد.

وعند الحديث عن موضوع الوعي، تتفرع الاتجاهات والأفكار، فهناك من يتفادى أي شيء يتعلق بإسرائيل ليعيش بسلام بعيداً عن السياسة وتوتراتها. وعلى العكس، هناك ممن يعمل جاهدا على اثبات نفسه بشتى الوسائل. أما المراهق فعادة ما يلجأ للخيار الأول (أغازريان، 2010). وإن من علامات وجود جلد مجتمعي في كل مكان ، وعند مواجهة الكوارث، حسب ما ورد في كتاب ريك وبريثيرلون (Ride and Bretherlon, 2011). تكون للناس قوة خاصة للمواجهة. فالبعض يهرب، أو يعمل، أو يحاول أن يعرف ما يحدث من حوله، أو

أنه يحاول التواصل مع غيره... فهم على الأغلب لا يتخذون دور الضحية غير الفعال والجامد، بل يعملون. (Ride and Bretherlon, 2011)، لذلك نجد أن وجود لجان ومؤسسات محلية جديدة وفعاليات لم تكن موجودة قبل ذلك لأن الناس أصبحوا بحاجة أكثر لإثبات أنفسهم.

طالما ان الانتهاكات الاسرائيلية موجودة والقمع مستمر فلن تتوقف مأساة الفلسطيني، وقد نجد ان الفرد الفلسطيني يستنزف من الناحية المادية، لكنه وبمعاناته اليومية يستحدث دائما بدائل جديدة للحياة لتستمر حياته. وبوجود القمع الاسرائيلي حتى الوقت الراهن نجد مع ذلك بأنه لا بد من تمكين المجتمع الفلسطيني على الجلد ليبقى صامدا مدافعاً عن حقه المشروع.

إن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الثقافة والتغيرات التي تطرأ عليها وتغير السلوك، لتنعكس بدورها على السلوك العام للمجتمع. وبالتأكيد فإن الثقافة لا تكون مكتسبة ذاتياً بشكل منفصل، فلا يمكن إنكار الترسبات الثقافية السابقة في حياة كل فرد، وتداخل عوامل عديدة في تكوين الشخصية. فلا يجوز اعتماد مقياس لقياس نمط السلوك العام لمجتمع معين دون الأخذ بالاعتبار سياقه العام السابق والحالي، وما ترتب على ذلك السياق من تغيرات في القيم بمرور الزمن.

تختلف أساليب دراسة شخصية الفرد في علم النفس عنها في دراسة شخصية المجتمع على الرغم من أن مرتكزات البحث الرئيسة ذاتها، لكن البحث في السلوك الخاص يعدّ أكثر صعوبة لأن دوافعه متباينة ومرتبطة بكل فرد على

حدة، أما السلوك العام يعدّ سهلاً لأنه يعتمد مسطرة قياس واحدة لكل أفراد المجتمع فأساليبه تبحث في عوامل المحيط الرئيسة المؤثرة في الجماعة من دون البحث في حجم تأثيرها على كل فرد من المجتمع لاختلاف حجم الرواسب الكامنة وحجم المكتسبات الثقافية الذاتية.

إن بناء او تشكيل او الشروع في برنامج للتغيير لتحسين الجلد المحلي، لا يعني دائما البدء من الصفر، فعادة يكون البناء على نجاحات موجودة اصلاً بتوجيه نحو مسار واضح بتميّز تنظيمي. وهو يشمل التوفيق بين انشطة الاهداف الاستراتيجية والانظمة التشغيلية، وفهم المقايضات والمخاطرات المتعلقة بها . والتحول من عدم الاستقرار لمجتمعات فيها جلد مجتمعي. يمكن وصفه بأنه صعب البناء، لكنه صعب الكسر (Managhan, 2012) .

وأعتبر بأن ما يعيشه المجتمع في سلوان يمتاز بالالتزام والمسؤولية إلى حد كبير؛ ويكون الالتزام والإحساس بالمسؤولية تجاه كل سكان سلوان، والشعب الفلسطيني ككل نابعاً أولاً من إحساس هذا الشعب بالانتماء وثانياً من قيام الشعب نفسه بإنشاء لجان ومؤسسات ظهرت من قواعده الخاصة. بالتالي أصبح هذا المجتمع يشعر بأي ضرر قد يلحق بالآخرين من أبناء مجتمعه هو ضرر يلحق به وهو ما يسمى بالمصير المشترك، لأن انتمائهم هو سبب للراحة النفسية التي يحصلون عليها من عضويتهم وبإحساسهم بأنهم جزء من كل فأنهم يصبحون في

مأمن وحماية وحالة توافق نفسي بفعل الدعم الاجتماعي الـذي يتلقـاه كـل فـرد فـي المجتمع.

ففيما يتعلق بالمؤسسات، وتحديداً المحلية منهـا، فقـد كـان دورهـا مهمـاً لا يمكـن إنكاره. وهـذا يختلـف مـع مـا تطرحـه حمـامي (حمـامي، 2005) مـن أن دور المنظمات المحليـة كـان اكبـر فـي الانتفاضـة الاولـى، فصـحيح أن دور الأطـر المنظمة قد اختلف، لكن المقاومة ليست عبثيـة بشـكل تـام. وصـحيح بـأن الفـرد يسعى لتحصيل اساسيات الحيـاة، لكنـه مـا زال يعـيش عقوبـات جماعيـة مـع أن المحاولات الإسرائيلية في بث الروح الفردية بشكل منفصـل مسـتمرة. فهنـاك أسـس لتجربة جماعية ومعنى.

عادة بعد الحديث المطول الذي لا ينتهـي عـن الظـروف الضـاغطة التـي يعيشـها أهالي حي البستان، كنت أسأل في نهايـة المقابلـة عـن مـدى الشـعور بالاسـتقرار وكيف يصف الفرد حياته اليومية. وقد وجدت أن أفـراد العينـة يعيشـون "كـل يـوم بيومه"، فمنهم من يعمل على تجديد البيـت مثـل لينـا، ومـنهم مـن حـاول التفكيـر بالمستقبل فأصابه الاكتئاب مثل أم خالد التي قـررت فـي النهايـة أن تعـيش بغـض النظر عن مدى خطورة المستقبل. ومنهم أمثال أم علـي التـي لا تسـتطيع أن تتـرك بيتها لفترات طويلة لخوفها على أطفالها وحتى على بيتهـا... كـل ذلـك يبـين مقـدار الخوف والشعور بعدم الأمن مع العمل علـى الـتخلص مـن هـذا الشـعور بـالطرق المختلفة. لكنه لا يزال قائماً.. فعندما تبكـي أم علـي فـي المقابلـة لأنهـا اضـطرت

لتبليغ أولادها بخطورة الرجوع للبيت فذلك يعني الكثير... فحتى البيت الذي يُعبر عن الأمان أصبح الأمن فيه مفقوداً. وهذا يشبه ما طرحته دراسة مولاج (Mulaj, 2007) التي تسعى لتقديم نقد منطقي لطرد الجماعات المستهدفة من حيث الأمن، حيث تبين انه من المعيب استخدام التطهير العرقي كوسيلة لتأمين الأمن القومي، في حين أنه يشكل مصدر عدم الأمن للطرف الأخر.

فعلاً اختلف معنى الصمود الفلسطيني، فصار يتمحور حول الاستمرار في الحياة والمضي قدما فقط، وهي عبارة سمعتها مراراً أثناء تواجدي في سلوان. لكن الاستمرار في حياة قاسية هو صمود بحد ذاته، وهو يحتاج من التكافل والجلد والقدرة على التحمل الكثير بالتالي هي المقاومة بحد ذاتها.

اليوم، أصبح الناس يتمسكون بوجودهم أكثر لأسباب عديدة، ومن ضمنها، لو تناسينا حب الوطن وما إلى ذلك، فلا يوجد بديل آخر للجوء إليه كما كان الحال زمن النكبة والنكسة الفلسطينية، وهذا الأمر جعل الناس بحاجة للتأقلم وإيجاد بدائل جديدة تجعلهم أكثر قدرة على التحمل. والجلد الفلسطيني لا يعني تحمل الإهانة والسكوت عن الحق، بل هو استراتيجيات يتخذها كمكانيزمات وآليات يحافظ من خلالها على التوافق النفسي الاجتماعي لديه، ويقاوم من خلاله حتى يصل لمبتغاه وهدفه في الحصول على أرضه ووطنه. وكما يقول الشاعر الفلسطيني محمود درويش في قصيدته اللامبالي: " في اللامبالاة فلسفة،

إنها صفة من صفات الأمل"... وهذا هو الفلسطيني الـــذي يعـــيش حالـــة خاصـــة مـــن اللامبالاة التي تمتاز بالصمود المميز حتى تحقيق آماله.

التوصيات

تواجه الأزمة الشعب كمجتمع، وذلك لأن الناس مستهدفون كفلسطينيين، وبالتالي فإن الجَلد يكون على المستوى الجماعي.

قدرة المجتمعات المحلية في هذه الحالة له تأثير داعم مباشر على الجَلد الفردي والتوافق النفسي الاجتماعي. لذلك يجب العمل على خطة تدخل مستقبلية تأخذ بعين الاعتبار التركيز على تعزيز الهوية الجماعية، وبالتالي زيادة التماسك واللحمة الاجتماعية، والتي بدورها تعزز وتزيد من قدرة المجتمع على الجلد. وهذا كله دون شك يمكن تطبيقه حتى على مجتمعات أخرى بظروف مشابهة ليس فقط على المجتمع السلواني. بالتالي أوصي بعمل خطة وطنية شاملة على المستوى الفلسطيني تعمل على دعم وتعزيز الجلد لدى المجتمع الفلسطيني، ذلك لأهمية الموضوع وكونه نقطة انطلاق في سبيل التحرر.

هناك حاجة، خاصة في القدس، على زيادة تركيز العمل على التوعية القانونية كون العديد من المشكلات تزيد نتيجة الافتقار للمعرفة سواء أكان على صعيد اللغة أو الحقوق أو غيرها.

هناك حاجة للتعمق والتعرف على تفاصيل حالات لاعتقالات الأطفال بشكل خاص، وتأثير ذلك عليهم. خاصة أنني لم أجد دراسات نوعية عن حالات، ولم أستطع في بحثي التوسع في الموضوع بشكل كبير كونه موضوع بحثي كامل بحد ذاته

ولذلك، أوصي بالآتي:

- تركيز الأبحاث على المستوى الجماعي لا على الفردي فقط.
- دراسة معززات التماسك واللحمة الاجتماعية، مع الأخذ بعين الاعتبار تأثير الهوية الجماعية.
- التركيز بالأبحاث على حالات الاعتقال للأطفال بطريقة كيفية وكمية.
- دراسة مستوى الوعي القانوني لدى السكان المقدسيين بشكل خاص، وتأثير ذلك عليهم.
- العمل على خطة وطنية فلسطينية لدعم وتعزيز جلد المجتمع.

قـــائـــمـــة المـــصـــادر والمـــراجـــع

- أغازريان، أليز (2010) المقدسيون وانشطار الهوية: مـــن وحـــي فرانـــز فـــانون. *مجلة الدراسات الفلسطينية*، 82، 80-87.
- أمارة، محمد (2010). *اللغـــة العربيـــة فـــي إســـرائيل: ســـياقات وتحـــديات*، دار الهدى ودراسات الفكر: الأردن.
- الأمـــم المتحـــدةا مكتـــب تنســـيق الشـــؤون الانســـانية OCHA (2009). أزمـــة التخطيط في القدس الشرقية- تقرير حول ظـــاهرة البنـــاء:غير المـــرخص". *الأمـــم المتحدة امكتب تنسيق الشؤون الانسانية OCHA*.
- أيوب، نزار (2012) التطهير العرقي في القدس، *حوليات القدس*، 13، 6-14.
- بريك، نزيه (2006). نظام التخطـــيط فـــي خدمـــة السياســـة الإســـرائيلية\ القـــدس نموذجاً. *مجلة قضايا إسرائيلية*، 6(22)، 69-94.
- تراكي، ليـــزا (2010) *رام الله- البيـــرة، مجتمعـــات وهويـــات*. أمكنـــة صـــغيرة وقضايا كبيرة، ثلاثة أحيـــاء فلســـطينية فـــي زمـــن الاحـــتلال. بيـــروت، لبنـــان: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الجعبـــة، نظمـــي (2009). القـــدس بـــين الاســـتيطان والحفريـــات. *الدراســـات الفلسطينية*، 79، (7-17).
- الجعبة، نظمي (2012) الاســـتيطان الكولونيـــالي فـــي الضـــفة الغربيـــة والقـــدس: قراءة في أبعاد وأشـــكال الســـيطرة علـــى الأرض، *مجلـــة الدراســـات الفلســـطينية*، 91، 59-83.
- جونسون، بني و أبو نحلة لميس(2010) *مجتمـــع وتناقضـــاته، لمحـــة عـــن مخـــيم الأمعري*. أمكنة صـــغيرة وقضـــايا كبيـــرة، ثلاثـــة أحيـــاء فلســـطينية فـــي زمـــن الاحتلال. بيروت، لبنان: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- جونسون، بني (2010) *حكايات القوة والخطر، سَحَر وتكتيكات الحياة اليومية في مخيم الأمعري*. أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة، ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال. بيروت، لبنان: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- حمامي، ريما (2005) حكاية حاجز تفتيش في زمن الاحتلال. *مجلة الدراسات الفلسطينية*، 63، 102- 114.
- أبو دحو، رولى (2010) *مخيم الأمعري لا تنازع بين الرغبات المتناقضة، الاستقرار والعودة*. أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة، ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال. بيروت، لبنان: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- زايد، أحمد (2006). سيكولوجية العلاقات بين الجماعات : قضايا فى الهوية الاجتماعية و تصنيف الذات. *المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب*.
- الزغير، هنادي. رويضي، أحمد. يعقوب، نصر(2007). هدم المنازل في القدس. *شؤون تنموية*، 33، (104-115).
- ستراوس، آ وكوربين، ج (1999) *أساليب البحث الكيفي: أساليب وإجراءات النظرية المجذرة* (عبدالله الخليفة ، مترجم) المملكة العربية السعودية: مركز البحوث والدراسات الإدارية. (العمل الأصلي نشر سنة 1990).
- سلمي، أميرة (2010) *المصيون، بين تغيرات البنية العمرانية والخوف من فقدان المكانة الاجتماعية*. أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة، ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال. بيروت، لبنان: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- شادي، إيمان (2009). محاولات تهويد القدس. *السياسة الدولية*،30، 153، 208-230.
- شاهين، ديانا (2006). التطهير العرقي لفلسطين. *المجلة الثقافية*، 71، 182-187.
- شلهوب، نادرة (2011) القدس وفلسطين والسياسات اليومية الكولونيالية، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، 85، 54-64.

- عبد الرحمن، برهان (2010). *دور التعليم العالي في تعزيز الهوية الفلسطينية وأثره على التنمية السياسية من وجهة نظر الطلبة والعاملين جامعة النجاح أنموذجا*
- غانم، هنيدة (2009). ما بين الاحتلال العسكري الاستعمار والابارتهايد- مقاربة حول نقاط التقاطع والاختلاف. *قضايا إسرائيلية*، 9(35)، 7- 17.
- فريري، باولو (2002) *نظرات في تربية المعذبين في الأرض* (ترجمة مازن الحسيني). رام الله: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع.
- كاميك، بول. رووس، جاك. ياردلي، لوسي. (2007) . *البحث النوعي في علم النفس: منظور موسع في المنهجية والتصميم*. دار الفكر. الاردن.
- المالكي، مجدي، شلبي، ياسر، ولدادوة، حسن (2004) *المجتمع الفلسطيني في مواجهة الاحتلال، سوسيولوجيا التكيف المقاوم خلال انتفاضة الاقصى*. رام الله، فلسطين: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.
- المركز الفلسطيني للإرشاد، مؤسسة انقاذ الطفل، مؤسسة التعاون(2009). بيوت مهدمة- معالجة آثار هدم المنازل على الأطفال الفلسطينيين والأسر الفلسطينية. *المركز الفلسطيني للإرشاد، مؤسسة انقاذ الطفل، مؤسسة التعاون.*
- ميعاري، محمود. (2008) تطور هوية الفلسطينيين على جانبي الخط الأخضر .*مجلة الدراسات الفلسطينية*، العدد 74. ص 41-61.
- هلال، جميل (2010) *ام الشرايط، في التباس العلاقة بالمكان*. أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة، ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال. بيروت، لبنان: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- Adger, Neil(2000). Social and ecological resilience: are they related. 24, (3), 347–364. DOI: 10.1191/030913200701540465
- Brewer, Marilynn& Hewstone, Miles (2004). Self and Social Identity. *Blackwell Publishing, UK.*
- Bronfenbrenner, Urie (1989) Ecological Systems Theory. Annals of Child Development. 6, 187-249.
- Bottrell, Dorothy (2009). Dealing with Disadvantage: Resilience and the Social Capital of Young People's Networks. *Youth Society,* 40,476-501. DOI: 10.1177/0044118X08327518. Retrieved 24/10/2011. http://yas.sagepub.com/content/40/4/476
- Connor, Kathryn& Davidson, Jonathan& Lee, Li-Ching(2003). Spirituality, resilience, and anger in survivors of violent trauma: A community survey, *Journal of Traumatic Stress*, 16, (5), 487–494.
- Connor, Kathryn (2006). Assessment of Resilience in the Aftermath of Trauma. *J Clin Psychiatry*, 67 (2), 46-49. DOI: 10.1023/ A: 1025762512279
- Deschamps, Jean-claude and Thierry Devos. (1998). Regarding the Relationship between Social Identity and Personal Identity, Worchel, Stephen etal (eds). *Social Identity***.** London: Sage Publication:1-12.
- Dugas,K.(1997). *Sense of Community and the Development of Block Culture.* Ronald E. McNair Post-Bacalaureate Achievement Program. Michigan State University.
- Dyer, Erin(2013) Hope through Steadfastness: The Journey of Holy Land Trust, in "Quest. Issues in Contemporary Jewish History. *Journal of Fondazione CDEC*, 5, 182-204. url: www.quest-cdecjournal.it/focus.php?id=333
- Falah, Ghazi(1996). The 1948 Israeli-Palestinian War and Its Aftermath: The Transformation and De-Signification of Palestine's Cultural Landscape. *Annals of the Association of American Geographers*, 86(2), 256-285. Retrieved 31/8/2010. http://www.jstor.org/stable/2564005

- Friedli, Lynne(2009). Mental health, resilience and inequalities. *World Health Organization*
- Gray, Misha(2011) The Impact of Child Detention Under Occupation: A Case Study of Silwan, East Jerusalem. *Liverpool School of Tropical Medicine*, 1-75.
- Hardiman.R& Jachson,B (1997) Conceptual foundation for social justice courses. In Adams, M. Bell, L.A& Griffin,P (Eds), Teaching for diversity and social justice: A sourcebook (16-29). New York: Routledge.
- Hernández, Pilar (2002). Resilience in Families and Communities: Latin American Contributions from the Psychology of Liberation. *The Family Journal*, 10, 334-343. DOI: 10.1177/10680702010003011.
- Home, Robert(2003). An `Irreversible Conquest'? Colonial and Postcolonial Land Law in Israel/Palestine. *Social & Legal Studies*, 12,291-305. DOI: 10.1177/09646639030123001. Retrieved 24/10/2011. http://sls.sagepub.com/content/12/3/291
- Kolbo, Jerome (1996) Risk and Resilience Among Children Exposed to Family Violence. *Springer Publishing Company, Vol. 11, No. 2*
- Ride, Anouk and Bretherlon, Diane (2011) *Community Resilience in Natural Disasters*. Palgrave macmillian: New York.
- Moreira, Alexander& Others(2007). Spirituality and Resilience in Trauma Victims, *Journal of Religion and Health*, 46, (3), 343-350.
- Managhan, Philip (2012) *How local Resilience Creates Sustainable Societies: Hard to Make, Hard to Break*. Routledge: London and New York
- Mulaj, Klejda (2007). Ethnic Cleansing and Provision of In-Security. *Security Dialogue*, 38(3), 335-356, DOI: 10.1177/0967010607081515. Retrieved 24/10/2011. http://sdi.sagepub.com/content/38/3/335
- Patton, M. (1990). *Qualitative evaluation and research methods.* Newbary Park, California: Sage Publications.

- Powley, Edward(2009). Reclaiming resilience and safety: Resilience activation in the critical period of crisis. *Human Relations*, 62, 1289- 1326. DOI: 10.1177/0018726709334881. Retrieved 24/10/2011. http://hum.sagepub.com/content/62/9/1289
- Save the Children(2010). Child Rights in the Occupied Palestinian Territory/ Review**.** *Save the Children***.**
- Sheldon, Kennon& King, Laura(2001) Why Positive Psychology Is Necessary. The American Psychological Association, 56, 3, 216-217. DOI: 1O.1O37//OOO3-O66X.56.3.216
- Unger, Micheal(2008) Resilience Across Cultures. *British Journal of Social Work*, 38, 218- 235.
- Wlash, Froma(2002). A Family Framework: Innovative Practice Applications. *National Council on Family relations*, 51(2),130-137. Retrieved 24/10/2011. http://www.jstor.org/stable/3700198
- Liebenberg, Linda& Ungar, Michael(2009). *Researching Resilience*, 1st ed. London: University of Toronto Press. Printed in Canada.
- Tajfel, Henri& Turner, John(1986) *The Social Identity Theory of Intergroup Behavior*. The Nelson- Hall Series in Psychology, 7- 24.
- Al-Za'tari, Moaz & Molony, Jonathan.(2010).House Demolitions in Silwan. *Al Maqdese for Society Development(MSD).*
- http://www.jerusalem.muni.il/jer_main/TopSiteJeruarb.asp?newstr=4&src=/jer_sys/publish/results_arab.asp?pub_id=34753+father_id=21499%20%20&cont=1097 Jerusalem Municipality